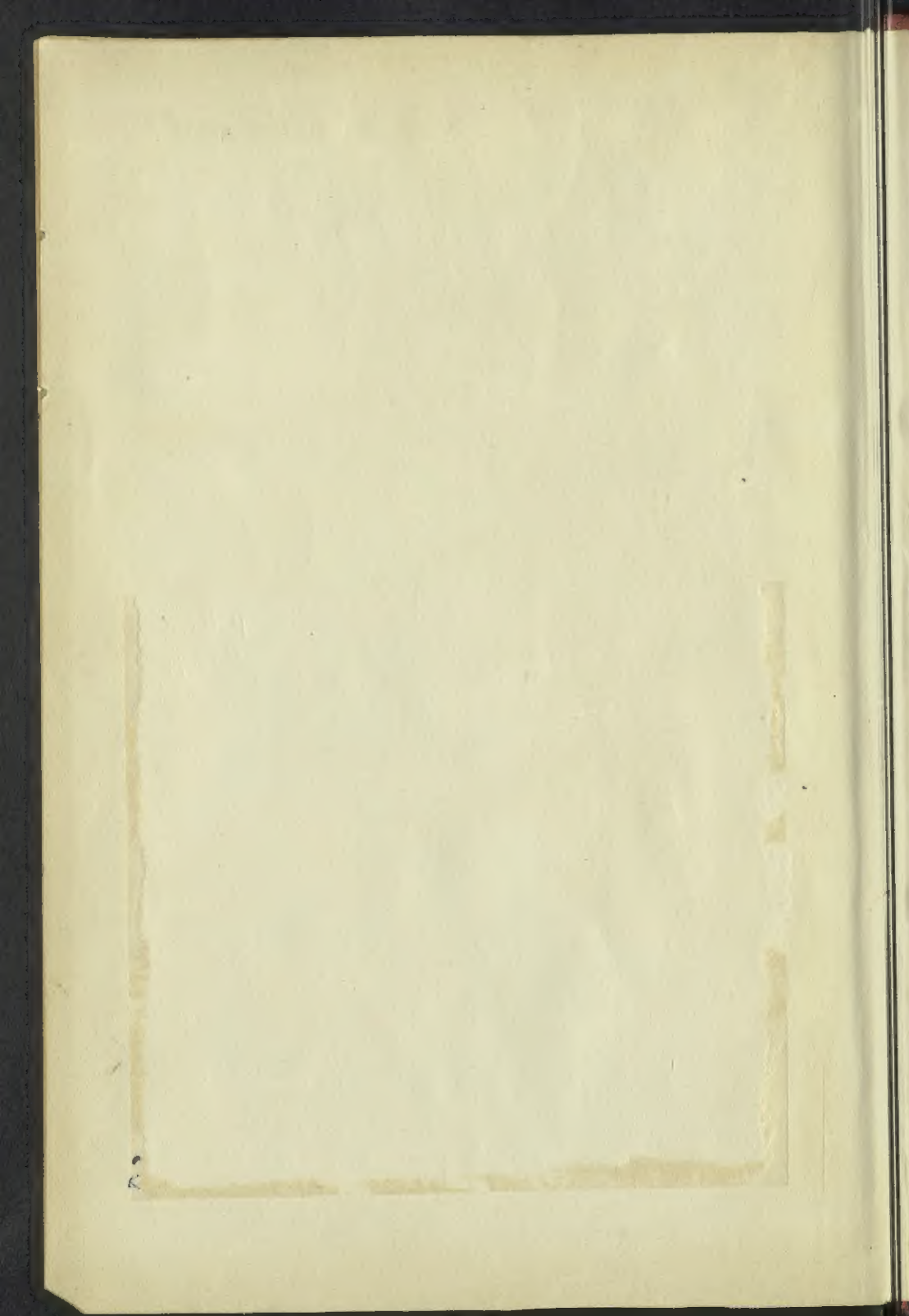
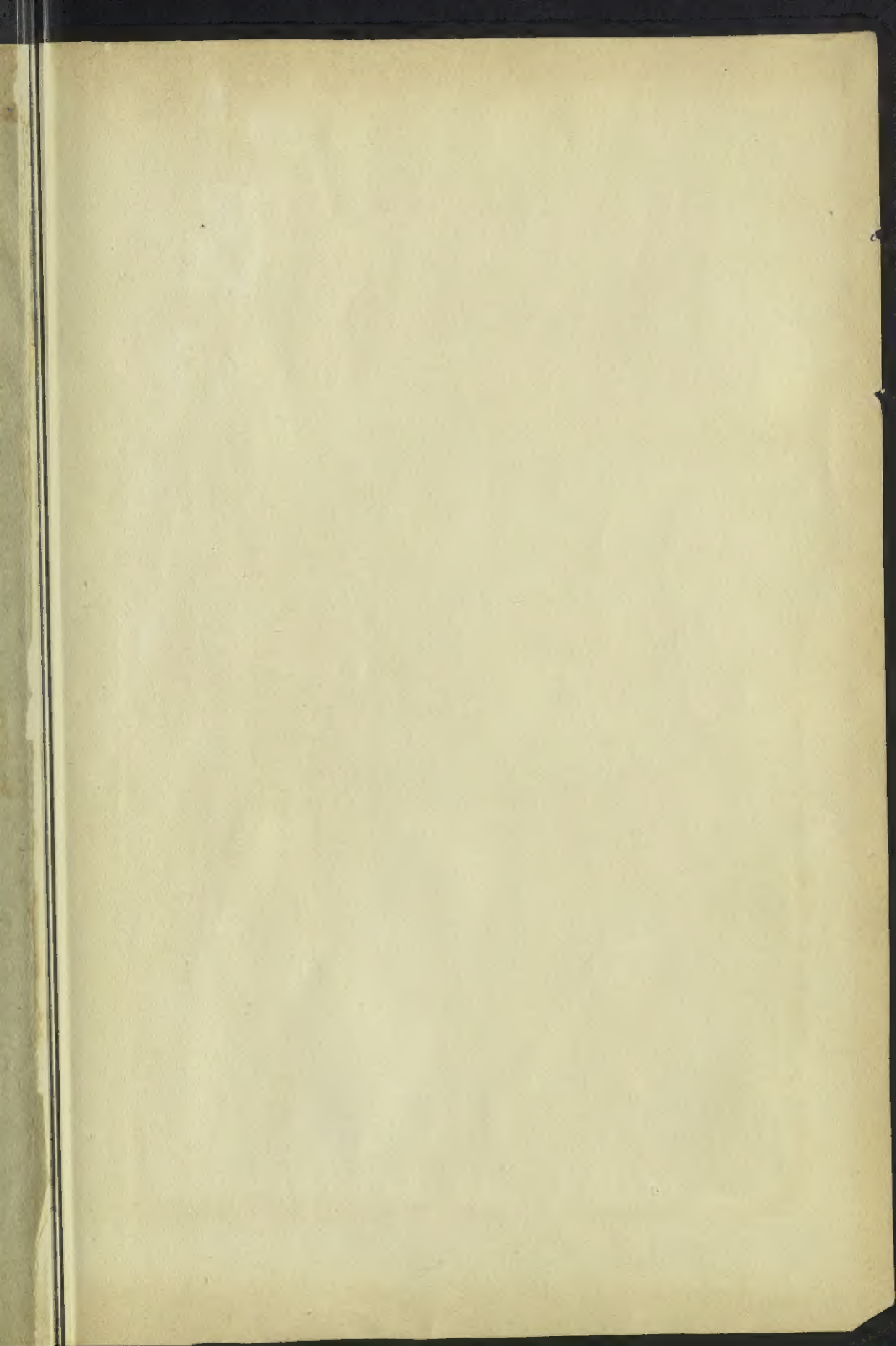


A. U. B. LIBRARY





335.4
A31/5A

الشيء والأصل

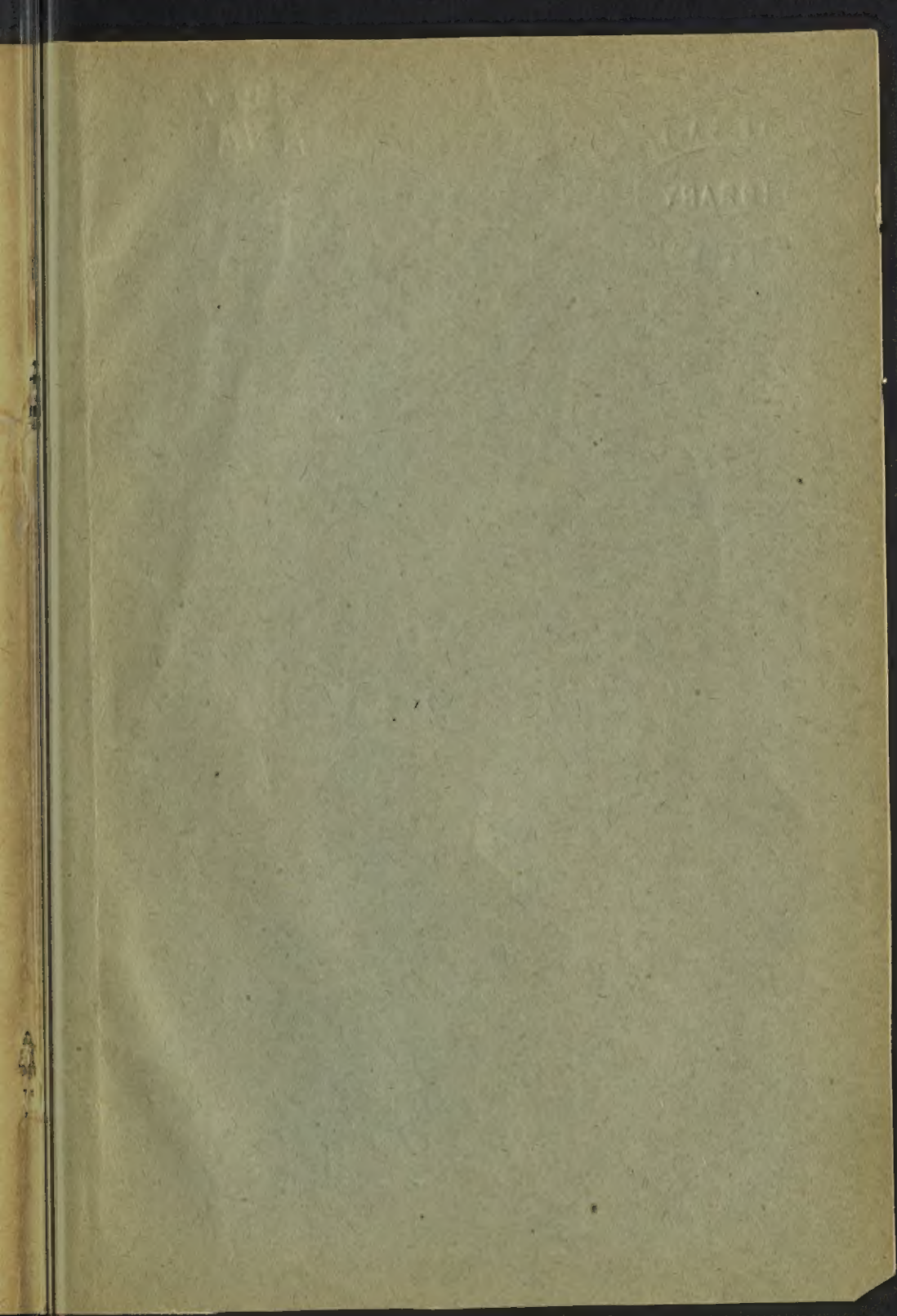
تأليف

أحمد عبد الغفور عطار

عباس محمود العقاد

طبع على نفقة حضرة صاحب المعالي

السيد حسين ميرتاي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

هذه كلمات مختصرة كنت كتبتها منذ بضع سنين «عن الشيوعية» وأردت أن أذيع بها عندما كنت ألقى أحاديث في راديو مكة عن الإسلام دين الحرية والقوة والحق والعدل ، وعن المجتمع الفاضل الذي بناه الإسلام ، وعن الدولة الفاضلة التي أقامها ، وعن الدين ضرورة إنسانية واجتماعية وخلقية واقتصادية ، وعن نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وإلى غير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالإسلام كأهل الحريات وباني المجتمعات وحارس الإنسانية والأخلاق.

إلا أن هذه الكلمات لم يقدر لها أن تزداد أو تنشر ، لأن مسوداتها كانت في حاجة إلى التنقيح ، ولأنني ودعت مكة المكرمة - حرسها الله - ورحلت إلى مصر في طلب العلم والمعرفة وطبع بعض مؤلفاتي ، وشغلت عنها وكنت أفكر في جمع شتاتها وإضافة أشياء جديدة لإخراجها للناس كتابا ، ولكن لكل شيء أوانا نظرفيه .

وعدت إلى هذه الكلمات منذ شهور ، فلم أجد ما يدعوني إلى تغيير رأى رأيته ، أو مقصد أردته إلا بعض براهين وقعت لي ، وهى تثبت ماقلت عن الشيوعية فأدخلتها في مواضعها من هذه الكلمات .

و كنت أود أن أجمع شتاتها وأجعلها مقدمة لكتاب « الشيوعية والإنسانية » تأليف صديقي الأستاذ عباس محمود العقاد ، فرأيت أنها لاتصلح لطولها ، ولأن الأستاذ الكبير لم يدع لثلي مجالاً بعد أن كتب عن الشيوعية دراسة دقيقة وافية لم يسبق للعربية أن رأت مثله في الإحاطة والاستيعاب والدراسة العلمية الناضجة ، ولا يصح تأدياً مع الأستاذ الكبير أن أضع هذه « المعلومات » طليعة بحث علمي يكتبه مفتخرة العقلية العربية الأستاذ العقاد .

ورأيت من الخير أن أطبعها في هذه الرسالة ليقف القراء على رأى أحد أبناء مكة المكرمة في الشيوعية ، ورأيت من الخير أن أكمل رسالتى بأن أضم إليها الفصل الذى كتبته الأستاذ العقاد تحت عنوان « الشيوعية والإسلام » وهو أحد فصول كتابه العظيم « الشيوعية والإنسانية » واستأذنته فأفضل - جزاه الله كل خير - وأذن ، وما كتبه الأستاذ العقاد عن « الإسلام والشيوعية » ليس من قبيل الموازنات ، لأن الشيوعية لانوزن بأى دين أو أى مذهب ، والإسلام أكرم من أن يوزن بالكفر ، وهو الدين الذى بعث

للقضاء على الكفر ، ولكن كثبت هذا الفصل ليعرف المرتدون أن
ما ظنوه مزايا في الشيوعية ليس إلا مثالب ومخازي لا تصدر إلا
من نفوس مجرمة وأرواح شريرة أنيمة تريد الشر بالإنسانية كلها ،
ولا يقبلها إلا من كان ذا نفس لئيمة كافرة وروح شريرة داعرة ،
وما وعدت به الشيوعية من تحقيق العدالة الاجتماعية ونشر السلام
والأخوة لم يكن إلا كذبا ومينا ، أما الاسلام فقد حقق كل
ما نصبوا إليه الإنسانية من خير وسعادة ورخاء وحرية للإنسان
أيا كان نوعه وجنسه ولونه ولغته .

وليعلم القارئ أن الإجماع منعقد على مقت الشيوعية والاشتراك
منها ، لأن هذا المذهب الماركسي البغيض أشنع ما اعرف من أنواع
الكفر والأمة وأقذره وأحطه .

هذا رأى البداهة في الشيوعية ، هو رأى الفطرة ورأى العلم
ورأى الأخلاق ، بل وهو رأى العالم الحر ، بل هو رأى الروسيين
أيضا لو وجدت ألسنتهم الحرية .

كل الناس على بعد الديار واختلاف الألوان والأجناس واللغات
يشمئز من الشيوعية ، إذا كان على بصيرة وهدى ، وقد انخدع بها
قوم من أقطاب الفكر والعلم زمنا ، ثم لما رأوها على حقيقتها انقلبوا
عليها ومقتوها وحاربوها بعد أن تابوا وندموا .

وحسبنا أن نستشهد بأحد أقطاب الأدب العالمي ، وهو أندريه

جيد الكاتب الفرنسي المشهور ، ولرأى جيد وزن ، ولرأيه نقل
عندما توضع الآراء في الميزان في هذا السبيل ، فقد كان شيوعيا
متحمسا حتى قال في يومياته المطبوعة : « إن إيماني بالشيوعية
يشبه إيماني بدين ، وإنها البشرية للإنسانية بالنجاة ، ولو اقتضى
نجاحها بذل حياتي لذاتها في سبيلها غير متردد » .

ثم يشاء الله لجيد أن يذهب إلى روسيا بدعوة من ستالين
ورجال الكرملين ، وتتجسد الحكومة الروسية لتكريم جيد
وإطلاعه على فردوس الشيوعية وأدخلته فيه حتى يسعد بما أعدت
من نعم ورخاء وسعادة وطمأنينة ، ويرى بعيني رأسه ، ويحس بكل
جوارحه الشيوعية ، ويتفعل فيها باحثا دارسا مستمتعا ، فإذا هو
يقادر الفردوس ليقول للعالم : « لا يمكن مها كان الأمر أن نتحدر
الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذي نتحدر إليه الشيوعية ، ولا يمكن
لأحد مها طفر به الخيال أن يتصور مأساة الإنسانية والأخلاق
والأديان والحريات في بلاد الشيوعية ، ولا يمكن أن تصل الخسة
بالإنسانية إلى حد ما تصل إليه في الشيوعية » .

كل أصحاب القطر السليمة يستذكرون الماركسية ويلعنونها
ويحاربونها وينفرون منها ويخشون أن تندس سمومها في النفوس
فتميتها أو تحيلها إلى نفوس مجرمة ، وهذا ما حل الحكومات على
أن تحاربها ، وأصدقاء روسيا أنفسهم من زعماء الشعوب ورؤساء

الجسكومات يعتقدون للشيوعية ، ولا يرضون أن يعتنقها أحد من أفراد شعوبهم برغم ما يلي هؤلاء الزعماء من تكريم روسيا وبجائملاتها وإحفاها بهم ، ومن هؤلاء : « نهرو » الذي احتفلت به روسيا احتفالا منقطع النظير ، ونهرو معروف بحرية فكره ونزاهته وحرصه على أن تكون علاقاته بالمعسكرين الشرقي والغربي مبنية على أساس التعاون والإخوة والسلام .

قال نهرو في ١٤ إبريل سنة ١٩٥٦ م في خطاب تاريخي له : « إن تفكير « كارل ماركس » الذي عاش في القرن التاسع عشر لا يلائم تفكير لقرن العشرين الذي تقدمت فيه العلوم والنظريات الاقتصادية تقدما جعل آراء « ماركس » غير مقبولة ولا صالحة في هذا القرن ، وأنا لا أنقل شيئا من فلسفة « ماركس » ، وهي لا تملأ شيئا من فراغ نفسي ، ولا تحجب علي أي سؤال يوجهه عقلي ، وإن الماركسية خالية من المثالية ، ولشئ لا يكون وسيلة للخير ، وإن العاجيش السلمي وليد الديمقراطية » .

وحارب نهرو الشيوعية في بلاده حربا عنيفة لاهوادة فيها وقسا في خصوصته وفي حربه التي أعلنها على الشيوعيين ووصفهم بأنهم إما مجانين أو بئله .

ويقول إقبال مؤسس باكستان : « أعظم خطر على الإنسانية كلها : المادية الملهدة » .

فهل يستطيع أى عبد للمار كسية والمار كسين من الضالين في العالم العربي أن يزعم أنه أكثر إيماناً بالمثل والقيم من إقبال وجيد ونهر ، أو أنه أعظم منهم فيها للسياسة والتاريخ والاقتصاد والحركات العالية والفلسفات ، أو أكبر منهم عقلاً وأشد منهم إخلاصاً ؟

والبلد الوحيد الذى لاتعيش فيه جرثومة الشيوعية لحظة واحدة هو البلد الذى يرفرف عليه العلم السعودى ، والبلد الوحيد فى العالم السالم من النشاط الشيوعى البلاد السعودية المقدسة التى حماها الله بفضله ثم بفضل مليكتنا الصالح المسلم المؤمن المحسن سعود آيده الله ونصره .

أما البلدان العربية الأخرى ففيها بعض النشاط الشيوعى ، إلا أن حكوماتها يقظة له ، تهاجم أوكاره ، وتضبط وسائل إجرامه وتزج فى السجون السفلة الذين دانوا بالشيوعية ، وتقف بالمرصاد لها ولهم ، كلما لحت منها بادرة بادرت باخمادها والقضاء عليها .

وقد سألتى بعض الإخوان عن رأى فيمن يتقلب شيوعياً من المسلمين فأجبتهم ، وأذكر جوابى فى هذا الموضع ليشاركى علماء المسلمين الرأى :

إن الشيوعية تنكر وجود الله ورسالة الرسل عليهم السلام ، وهذا وحده كاف لأن يهدينا إلى الحكم على معتقها .

إن المسلم الذي يعتقد الشيوعية مرتد عن الإسلام ، لأنه يدين
بمذهب ينكر الخالق ويمجد الرسل ويتهمم كذبا وزورا أنهم ليسوا
رسلا لأنه لا وجود لمن يرسلهم وهو الله ، وحكم الإسلام في المرتد
معروف وهو القتل ، أما من يطرى الشيوعية إطرأ يشتم منه تفضيلها
على الإسلام فإنه يفهم ويستتاب فإن أصر على التفضيل والإطراء قتل
كفرا ، وإن تاب قبلت توبته على أن يعززه الحاكم بما يرى .

ويجب على حكام المسلمين أن يطبقوا الشريعة الإسلامية في هؤلاء
المرتدين تطهيراً للبلدان الإسلامية من جرثومة الشيوعية إعلاء
لكلمة الله وتأييدا لدينه الحنيف ، واستئصالا لشاقتها باستئصال
من يدخل فيها ممن يدعون الإسلام أو يتظاهرون به كذبا ونفاقا
وتفضيلا وخوفا من أن يؤخذ بجريرته وفساده وكفره .

ونرجو الله أن يلهمنا الصواب ، ويوفقنا للخير ، ويهدينا الصراط
المستقيم ، إنه سميع مجيب .

أحمد عبد الغفور عطار

١٣٧٥ / ١٢ / ٩ هـ

النبوة والاسلام

الرعوات الراهنة

منذ قيام المجتمعات الإنسانية على وجه الأرض والعلم مبتلى بدعوات هدامة ما خلت من أتباع برغم ثبوت بطلانها وفسادها قبل تجربتها وبعدها ، ولكنها ما كادت تولد حتى تهزل ، وتموت قبل أن تشيع ، وأما ما شاع منها فلم يكتب له البقاء ، وكان يحمل في أطوائه وسيلة فناءه ، وما استمكنت دعوة من هذه الدعوات الباطلة إلا كانت كالنملة تموت عندما يثبت لها جناحان .

إلا أن الدعوات الهدامة القديمة التي كتب لها أن تلمع وتشيع لم تجد السبيل إلا إلى النفوس المريضة والأرواح الهزيلة والأمزجة المتلوية ، أما أصحاب الفطر السليمة فلم يؤثر عنهم قط أنهم استجابوا لدعوة تقوم على الشر والفساد .

وشر ما منيت به الأرض - منذ عرفت الدعوات البناء والهدامة -
الدعوة الشيوعية التي استباححت لترسيخ قواعدها ما لا يباح ،
واتخذت من الوسائل أفحجها وأقذرها وأشنعها ، ومزقت كل
الفضائل والقيم ، وحاربت كل الأديان ، ودأست المثل والأخلاق
حتى لا تقف في طريقها قوة تمنعها عن السير وتصدها عن الانتشار .

ولم يكن الخطر من المذاهب الهدامة في القديم كبيرا ، لأن
وسائل الإجرام العلمي لم تكن متقدمة ، وسبل النشر والإذاعة لم
تكن ميسرة ، فكان الخطر قابعا في حدود ضيقة لا يسه أن يتجاوز
المكان الذي تولد فيه تلك المذاهب ودعوات الشر والعدوان .

فالباطنية - مثلا - كانت مذهبا من شر المذاهب التي عرفت
الأرض ، وقام بناؤها على الأسس التي قامت عليها الشيوعية ولم
تفترق عنها إلا في بعض النواحي التي يعود فضل الفرق فيها
إلى الزمن .

ولدت الباطنية في نفس حيوان قذر امتلأ قلبه بالحقْد على
الإنسانية والنقمة من الفضائل والأخلاق ، وبني مذهبه على نكران
الغيب والإيمان بالمادة وهدم الفضائل كلها وإباحة المحرمات جميعها .

أنكرت الباطنية وجود الله ، وزعمت أن الرسل ادعوا النبوة

طمعاً في حكم العامة ورغبة في السلطان ، والأديان صدى الحاجة
ووليد الضرورة ، وأنكرت كل قيد من قيود العقيدة والخلق ،
وسمت القوضى حرية ، وجعلت الخلاعة والمجون والفسق والفجور
والإباحية شريعة متبوعة ، وجعلت كل ممنوع مباحاً ، وكل حرام
حلالاً ، وكل حرز مشاعاً ، وفصمت عرى الزوجية بأن أباحت
إتيان الولدان ، وجعلت اللواط لازماً ، وقضت على عاطفة الأمومة
والأبوة والبنوة بنكاح البنات والأمهات والمحرمات ، وأطلقت لكل
غريزة حاجتها عندها . ونشرت مذهبها بالسيف حياً وبالدم والمكيده
حيماً ، واتخذت كل وسيلة حتى يشيع . وحملت أصحاب الفطر
لسلطنة حملا على أن يدخلوا فيها فإن أبوا - وكانوا يابون دائماً -
فالسيف لا يتورع عن أعناقهم .

والشيوعية انفجرت في نفس صاحبها الأول مثلما انفجرت
الباطنية في نفس داعيها الفاذ . وكان كلامها معاً ظل الطبع مسلوب
الضمير ممسوخ النفس ملوث الآدمية .

إلا أن الباطنية لم تستطع أن تحكم وتسيطر إلا قليلاً في بيئة
محدودة ورقعة ضيقة ، لأن القوة المادية لم تحرسها ، بل لم تكن لديها
قوة كبيرة تنشرها وتثبت قواعدها ، ولأن أصحابها لم يكونوا
أجرياء وقحين كالشيوعيين الذين يعرضون عوراتهم دون أن

يخجلوا ، ولأن الباطنية انشقت على نفسها فكانت فرقا تجتمع في بعض الأصول وتفترق في أكثر الفروع ، ولأن الإنسانية كانت تعيش على الحياة .

أما الشيوعية فقويت لأن أباستها الناكرين وجود الله كانوا أكثر حيوانية وأعظم جندا وأشد إجراما ، لم يجعلوا الموت بعد العذاب الأليم نهاية كل من لا يؤمن بمذهبهم الباطل الهدام فحسب ، بل قتلوا الأبرياء تقتيلا ، بل قتلوا الأتباع والحكام بعضهم بعضا ليخافوا ويضمنوا الطاعة والاستسلام ، وجعلوا الأمن في أن يخاف كل أحد من كل أحد .

قويت الشيوعية لأن أصحابها ادخروا لها كل قوى الشر لحمايتها وحملوا الناس حملا على أعناقها ، وشدوا أزرها بالإرهاب الذي جنوا به جنونا ، وأخذوا أنفاس من يسأل أو يستفهم ، وحرسوا مذهبهم بأن عزلوا الشعب الروسى عن العالم فلم يتمكنوا روسيا من الخروج أو غير روسى من الدخول ، وفرضوا عليه الشيوعية بالإكراه والتعذيب ، وجعلوه يعيش كالقوقعة في غيابة محارثها الضيقة ، وساعدتهم « الظروف » السيئة التى مرت بروسيا عقب ثورة الجيش على آل رومانوف .

ويكفى لتصوير حالة روسيا أن يعلم القارىء أن أى مذهب

هدام كان يجد مجالا في روسيا ولو لم يستعن دعائه بالإرهاب والقوة لأن روسيا كانت تتطلع إلى تغيير حالتها بأي ثمن ، ودليل ذلك أن مذهب راسبوتين المحتال شاع في أرقى طبقات روسيا كما اعتنقته الطبقة الدنيا .

وما أظن أحدا غير الشعب الروسى المسكين كان يقبل مذهب راسبوتين الذى بناه على أن طهارة الروح تنبع من تدنيس الجسد ، ويقصد به أن يباغ الإنسان ويسرف فى ارتكاب الموبقات ، المرأة تبيع جسدها لكل راغب حتى يطهر روحها .

وكان راسبوتين أكرم من ماركس وأتباعه ، لأنه لم يزخرف مذهبه الهدام بما زخرف به ماركس مذهبه ، وراسبوتين لم ينكر وجود الله ولا رسالة الرسل بخلاف ماركس الذى قصد - أول ما قصد - إلى هدم الأديان كلها . ولم يعلن راسبوتين للملاكلة أنه جاء بمذهب لسعادة البشر ، ولم يزعم أن مذهبه سيتيح للإنسانية الاستقرار والطمأنينة والسعادة مدى الدهر كما تبجح ماركس .

فمن هذا الجانب الأليم ؟ !

كارل ماركس

إنه كارل ماركس المولود سنة ١٨١٨ الهالك سنة ١٨٨٣ م .

وكان أبواه يهودين ، واسم أبيه هرشل ، ولما ارتد عن دينه وصبا إلى المسيحية سمي نفسه هنريخ ، وذكر محبوه أن سبب تنصر أبيه أن اليهود لم يكونوا متحررين فكربا بل كانوا جامدين ، وكان هنريخ حر الفكر دارسا للفلسفة ، ولم يجد في اليهودية ما يتفق مع حرية فكره وعلموه وثقافته .

وهذا زعم غير صحيح ، فقد كان في عصره كثير من اليهود الفلاسفة ، ثم لا يطلب من المعتقد دينا من الأديان أن يكون دينه فلسفة أو مدرسة فلسفية ، والدين الذي انتقل إليه هنريخ — وهو المسيحية — لم يكن مدرسة فلسفية أو فلسفة ، هي كاليهودية في الأصول ، وكلا الدينين يتفق في أنه بعيد عن الفلسفة بتعريفها العلمي الذي كان معروفا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

ويزعم بعض محبي كارل ماركس أن صباه والده يعود إلى نفوره من القيود الدينية المنروضة على اليهود ، وجود تعاليم اليهودية ورغبته في التحرر من قيود الطائفة الإسرائيلية .

وهو زعم كسابقه يرد عليه أنه كان في وسع هرشل أن يتحرر
فكريا ويتمرد على أفراد طائفته مع التمسك بدينه .

أما الزعم الثالث الذي يذيع به أنصار مار كس أن سبب ترك
هرشل اليهودية أن اليهود كانوا مضطهدين يقاسون أسوأ المعاملات
من المسيحيين الذين أرهقهم الربا الفاحش المفروض عليهم من الدائنين
اليهود ، فترك كثير من اليهود دينهم وتنصروا لنجوا من الأذى
الحائق بهم .

وسواء أكانت هذه الأسباب كلها صحيحة أم مجرد اعتذار فإنها
لا تنكفي لأن يتخلى المرء عن دينه بهذه السهولة ، وإن هذه الأسباب
التي تتلمس الأعذار لهرشل تدل على أن المصلحة هي الدافع الأول .

فهو هرشل يهودي ، واليهود معروفون منذ وجدوا بالحرص
على الأموال والأنفس والتمرات ، والتضحية بكل غال ورخيص
في سبيل النجاة بالمال أو النفس ، فهو على بعض الأسباب يترك دينه
لأن المسيحيين يعادون اليهود .

وأظن هذا السبب لا يكفي لأن يتنكر المرء لدينه ويتبرأ منه
ويتخلى عنه .

والسبب الصحيح هو الرأي الثالث الذي ذكره محبو مار كس .

وهو يدل على أنه لم يكن دافعا من دوافع العقيدة والشعور
الإنسانى الرفيع ، بل دافع « المصلحة » فهو قد رأى أن يهوديه
لا تمكنه من الربح والكسب فتركها وتدين بدين المسيحية التي
تفتح أمامه أبواب الرزق .

هذا هو والدماركس ، وهو وحده كاف في الدلالة على
عنصره ومعدنه من ناحية العقيدة والخلق .

وماركس نفسه لم يكن من أولئك الذين يمتازون بالخلق
الإنسانى الرفيع ، ولم يكن من أصحاب المواهب البناءة التي تعمل
للخير ، ولم يكن من أصحاب المدارس الفكرية وإن كان له أتباع
وأنصار ، وكل ماله أنه أدخل بعض آرائه المنبعثة من تفسيته
السوداء السكونية على النظرية المادية وجعلها أما لكل عمل عقلى
أو فنى أو شعورى ، وجعل المادة هي كل شيء ، وأنكر
وجود الله .

إن ماركس لم يكن في شبابه الباكر ملجدا كافرا فقد قال :
« إن خير الناس وأجدرهم بالتكريم من يعمل لخير الناس ، والدين
أساس الحياة الإنسانية ، وهو نفسه يلقننا الحكمة والخير » ويقول:
لنا : « إن المثل الأعلى الذى يجب أن يسعى إليه كل فاضل في
الوجود هو أن نضحى بأنفسنا في سبيل خير الإنسانية وإسعادها . »

هذا هو ماركس في شبابه ، وتلك عقيدته برغم صباه والده
وبرغم ما تحدث الناس عن دوافع هذا الصبوه .

إلا أن الابن سر أبيه ، فكما ترك أبوه عقيدته فقد ترك الابن
عقيدته الصحيحة واستبدل بها عقيدة أخرى تناقضها كل المناقضة .
ترك العقيدة التي تنبعت منها أضواء الخير والإنسانية ثم ترك
وحاربها أشنع حرب ، إلى عقيدة تنفجر بالحزى والحقد على الفضائل
والإنسانية ، وزعم أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الله غير
موجود ، لا إله إلا المادة .

ما سبب هذا الكفر والنقمة على الإنسانية .

هناك أسباب كثيرة لأقربها : أنه من نسل يهودى صعباً من أجل
المادة ، فله بأبيه أسوة ، ثم إن الحياة كانت شديدة الوطأة عليه ،
هو يريد ما لا يعيـش منه وينفق على نفسه وزوجته وأولاده ، ومن
الذى يلقي إليه المال دون أن يقدم عملاً يستحق عليه أجراً ، وإن
السماء لا تمطر عليه الذهب ، فهو كافر بالسماء ، وكافر بالإنسانية لأن
الناس لم يعطوه شيئاً .

ويكفى لسمو بر بؤسه ما كتبته زوجته — واعمها جيني — إلى
صديق لها تطلب إليه العون ، قالت : « إنذني لي أن أصف لك يوماً

من أيام هذه الحياة ، وسترى أن غيرنا لم يقاس ما قاسينا ، فأنا مريضة سقيمة ، ومع أن ما يظهرى وئدي من أوجاع وآلام ممضة فأننى مضطرة إلى أن أرضع طفلى الرابع الحديث الولادة من ئدي لأننى لا أستطيع أن أدفع أجر مرضعة ، ولكن طفلى كان يرضع الحزن والألم والسقم فيتلوى من الوجع ليل نهار ، ومنذ أن ولد لم يمْ إلا ساعتين أو ثلاثا فى اليوم كله ، ومع كل هذا الفقر والحاجة دخلت علينا صاحبة المنزل وطلبت ما تجمع لها من أجرة ونقود اقترضناها منها ، والإيجار والقرض خمسة جنيهات . ولما كنا عاجزين عن الدفع فقد أحضرت سمعارين استوليا على كل ما نملك من أثاث وفراش وملابس ، حتى مهد الطفل استوليا عليه ، وخرجنا إلى الشارع وكان المطر ينهمر بغزارة والبرد قارس لا يرحم ، وبذل زوجى كل ما فى وسعه من جهد فلم نجد من يقبل إضافتنا أو إيواننا .

وقالت زوج ماركس تصف إحدى ليالى البؤس : « أحست ابتنا بزلّة شعبية وصارعت الموت ثلاثة أيام ثم ماتت ، وأخذنا نبكى عليها ولم يكن لدينا مانجهزها ونكفنها وأبقينا الجثة ريثما نجد ما نستعين به لنحضر دفنها ، ومضيت إلى جاري فى سى مهاجر فأعطانى جنيهين ، وأأسفاه ، وفدت ابتنا إلى الدنيا فلم تجد مهادا ، وسدما غادرته لم تجد كفنا . »

كان مار كس فقيرا مريضا ، فقد كان أبوه ينفق عليه ، فلما توفي
انكأ على أمه وأخته فأنفقتا عليه من إرثها وكسبها حتي كلتا من
إرسال النقود إليه فقطعتها عنه مضطرتين .

هذا هو نبي الشيوعية الذي يهتفون باسمه ويمجدونه ، ويصفونه
بالإنسانية يقفر قلبه من الرحمة على أمه العجوز وأخته المريضة ،
ولا يدعهما وشأنهما بل يرهبهما بطلب المال حتي أكله وأكلها .

كان واجبا عليه أن يتولى الإنفاق عليهما ، ولكنه لم يؤد
واجبه نحو أقرب الناس إليهما ، بل أرهبهما كفرانا وسؤالا .

﴿ إن سبب إنكار وجود الله أن السماء لم تمطره ذهبا فكفر ،
وسبب إنكار الخير والإنسانية أن الناس لم يعطوه مالا ينفق منه
وهو كسلان نائم . ﴾

إن مار كس كسول خامل يحب أن ينام أو يتشرد ، ويريد من
الطعام أن يسلك طريقه إلى فمه دون كد منه أو عمل ، فبرغم حاجته
البالغة وفقره المدقع ، وبرغم أنه كان يرى أطفاله يموتون من الجوع
والبرد والمرض فإنه لم يكلف نفسه العمل ، فملا الخقد قلبه وأكلت
النقمة نفسه فأذن الإنسانية بحرب لاتبقي ولا تذر ، وأي حرب
أشد من هلاك القيم ودمار المثل وانهيار صروح الدين والايمان ؟ .

إنه كان ناعما على الانسانية برغم أن معيشته كانت من
الاحسان ، فالمهاجر الفرنسي يعطيه ما يكفل تمييز بنته ، وغيره
يقدم له الطعام والسكن ، وماذا يريد أكثر من هذا وهو الذي
يتشدد بأن من لا يعمل لا يأكل ؟)

لو كان عند هذا الرجل خليفة الحياء وحب النفس والولد حبا
صحيحا لاشتق من الصخر شبعاً ورياً ، ولصان زوجه ونفسه من
التكفف والسؤال ، ولتأى بنفسه من انزاية والفضوح عندما يبيع
أثاثه وملابس زوجه ومهد طفله ، ولكنه كان جامد القلب
والشعور ، فاضطر زوجه أن تسأل وتتسول ، وأجبر نفسه أن
يعيش على « فضة » خير الآخرين .

ولم يكن الكسب الشريف مغلق الأبواب أمامه ، فقد أراد له
أصحابه أن يعيش من كسب يده فاتفقوا له مع بعض الناشرين أن
يؤلف كتاباً لهم وأخذوا أجراً سلفاً دفعوه له فأكله وهو نائم ولم
يعمل ، وباع الكتاب المتفق عليه إلى ناشر آخر وأخذ منه الأجر
ولم ينتجز ما وعد ، لأن نفسه لم تكن من تلك النفوس الأبية التي
يؤلمها أن تأكل حقوق الناس دون أن تهتم بالتسديد والوفاء .

وما أدري كيف تدفع الصفاقة والقيحة أناساً يزعمون أنهم من
بنى الإنسان فيدعون أن ماركس مصلح .

إن المصلح إنسان نبيل يتأى بنفسه عن السؤال ، ويلزم نفسه بالسعى والعمل ، فما أثر عن مصلح أو رسول أو نبي أنه أكل من كسب الآخرين وهو قائم على فراشه .

ما من مصلح قام على وجه الأرض إلا أكل من كسب يده ، وأحسن من فيض كسبه على الفقراء والمحتاجين .

ومن الافتئات على التاريخ أن يزعم الشيوعيون أو من اتبعوهم أن ماركس كان شقيقا بالطبقة العاملة ورحيما بالعمال ، فما أثر من تاريخه وتاريخ حركته ينقض هذه الدعوى ، فهو إذ نادى بانصاف العمال نادى إلى جانب ذلك بتحطيم الرأسمالية وسلب الملكية واستصفاء أموال الأغنياء . (**الأغنياء والفقراء آمة البحت**)

وسبب هذا النداء أنه كان لا يملك شيئا يخاف عليه ، ولا يستطيع أن يرتفع إلى طبقة الأغنياء والموسرين ، وخير حل يتفق مع حاله ومزاجه ونفسيته أن يتساوى الناس ويكونوا مثله فقراء ، والمساواة في البلاء تعزية وسلوان .

ولو كان لديه من حطام الدنيا شيء لتكالب عليه ودافع عنه ، بل نجده من أجل جنيتها معدودات تنمرب إلى جيبه الخاوي يتنكر لمذهبه ودعوته فيقبل أن يحرر في « صحيفة الدين » التي

أنشأها بعض لبورجوازيين ويكتب فيها مقالات أغفل فيها كل
الاغفال دعوته حرصا على المال يأتيه ولو كان عن طريق لا يرضي
مذهبه .

هذا يدل على أنه لم يكن زاهدا متفلسكا ، بل كان شديد
الطمع والحرص ، يتنكر في سبيل المال لمبدئه ويتذكر لأصحابه
وتلاميذه كما صنع عندما كان أحد تلاميذه محرراً في إحدى
الصحف وأقصى بسبب مقال كتبه عن بعض قواعد مذهبه ، فقد
سعى حتى أحل محله ، وكان المظنون أن يتابع حركة تلميذه التي
هي تأييد لنفسه ، إلا أنه نمي ذلك كل النسيان وأخذ يندد بتلميذه
وبتهمه بالسخف ويمشي في سبيل غير سبيله نفاقاً منه وخوفاً من أن
ينقطع عنه هذا المورد الجديد .

ولم يكن ماركس رحيماً بالعمل ، فقلبه الذي لم يتسع بالرحمة
لأهله وأقرب المقربين إليه محال أن ينبض بها من أجل البعيدين
عنه ، وإذا كان لا يرحم أباه الشيخ حتى استنفد قواه وماله ولم
ينهض للسعي والعمل والاتفاق على أبيه الجدير منه بالعون والرحمة
فان من الجهل أن يظن أحد أن في قلبه متسعاً لمن لا يجمعه به صلة
القرابة والنسب ، وإذا كان قاسياً على أبيه فإنه علي غيره أشد
قسوة وأشد تنكياً ، ثم إنه لم يبا به بأمه وأخته — بعد موت

أبيه — بل كان عالة عليهما وأرهمهما بالطلب والسؤال حتى قطعتا
سنه العون .

كل هذا واقع يؤيده تاريخ مار كس وتاريخ الشيوعيين أنفسهم
وكيف نصدق بعد هذه الوقائع والحقائق أن مار كس رحيم بالعمال
وغيور على الطبقة العاملة ؟

ليس أحد أحق بالرحمة من الوالدين والأهل ، وليس في الدنيا
من يترك الغيرة على أهله ويهبها للناس ، وإن من يبخل على نفسه
وعلى أبويه وإخوته وأولاده بالعمل ليرحمهم قمين ألا يجود به
على غيرهم ، لأن الإنسانية في قلب الإنسان نبع صاف يرتوى منه
أقرب الناس إليه ومن بعدوا عنه إذا كان من الإنسانية في الصميم .

أما إذا كان الوالدان لا يجدان لدى ابنهما ما يمل صداهما فإن من
فقدان الإدراك والعقل والتمييز أن نصدق أنه أعد الرى
لجميع الناس .

كان كارل مار كس خادما كدوبا ، ثم يحف بالبطيخة العاملة ،
وإنما تظاهر بذلك حتى يستخرهم لمصلحته ويجعل منهم لنفسه جنودا
وأعوانا يعملون لمجده وسيرته ، ويقوى بهم ، ويتظاهرون بهم ما فئروا
في شخصه وذابوا في كماله وحاروا جزءا منه ، فإذا اسفل منهم

أحد برأى ، أو نفع فيهم نافع ، أو اشتهر من بينهم زعيم ، فإن مار كس
أول المتنكرين للناقين .

وآية ذلك أنه حارب عاملا من أتباعه المخلصين ارتقى به حبه
لزملائه الى أن يرأس حركة إصلاحية تخدم الطبقة العاملة أعقبت
شهرة ، فنفس مار كس على تابعه شهرة أرادها لنفسه ، وحسده
وطرده ، ولم يشفع له إخلاصه ، وهذا التابع الأمين هو «ويلنج»
المسكين .

(وما أدري كيف يصدق عاقل أن نفسا كنفس مار كس مليئة
بالخقد على الأديان والنقمة على الأخلاق والقيم والباسان تعمل من
أجل مصلحة الآخرين ؟)

كان من خلائق مار كس : الكذب ، والغرور ، والإخفاق في
كل عمل ، إخفاق في المدرسة وفي الجامعة حتى أنه لم يستطع مواصلة
الدراسة الجامعية ، وإخفاق في مجال الحياة ، وفشل في كسب
العيش ، وزكون إلى الخمول والكسل ، وطمع فيما بيد الناس ،
وذمة مقبلة قضت على كرامته الأدبية فكان يتكفف ويسأل ،
وجمود في العاطفة حتى أنه لم يؤثر في تاريخه أن له صديقا واحدا
صدقا بريئة لا تقرب على أساس البيع والشراء ، وإنجلترا المعروفة

بحبه لماركس وصدافته له لاأراه صديقا إنسانيا ، لأن ماركس صادق إنجلز للمصلحة والمال ، كان إنجلز يحسن بالمال على ماركس فهو مضطر إلى مداراته ومجاملته حتى لا يفضيه ، ثم إن إنجلز كان ميسورا ، ورأى أن لماركس مستقبلا قد ينفعه لو سار معه فخصص له مالا يقضيه ماركس كل عام ، إن صداقتهما معاملة تجارية ومقايضة .

أما آراؤه التي وصفها هو نفسه بالعلم فلم تكن إلا نبوءات كاذبة لم تستطع أن تعيش إلا بعضها عاشت زمنا يسيرا بالإكراه ، ولم تتحقق نبوءة واحدة من نبوءاته الكاذبة بخدافيرها ، مع أنه زعم في قبحه وكبرياء أن « النظام » الذي وضعه ستأخذ به الإنسانية آلاف السنين ولن تحتاج إلى نظام آخر ، ولا يقبل نظامه التغير والتبدل .

ونظامه السياسي أو الاقتصادي قد اعتراه من التغير خلال ثلاثين عاما حتى لم يبق منه إلا الاسم ، وأما المسمى فقد تغير ، ووضع مكانه مسمى آخر اشترك فيه أتباعه الهدامون المخربون .

وإن ماركس يشبه عندي « الزنبور » الذي ظنه الشيوعيون نحلا ينتج لهم عسلا ، وهذا « الزنبور » لا يستطيع أن يقدم للناس شهدا ولوامتص كل زهور الأرض ، إنهم لن يفيدوا منه إلا اللسع والضنين .

آراء ماركس

لماركس آراء في الدين والمادية وفي الاقتصاد وفائض القيمة والأجور والطبقات ، وقد طبل لها الجبهة من أنصاف المتعلمين وزمروا وشيدوا لها النماثيل وطافوا بها ، ولو اطلعوا على ما كتب في نقد آراء ماركس البالية وكانوا على شيء من العقل لعرفوا أن آراءه ليست صالحة للتطبيق لما فيها من نقص وخلل .

ولا تستطيع هذه الكلمات القصيرة أن تستوعب كل ما يجب أن يقال ، ولهذا سنوجز القول ، لأن للشرح مجالا غير مجال أمثال هذه الكلمات ، وفيما يأتي من الصفحات المعدودة موقفنا من آراء ماركس خاصة ومن الشيوعية عامة .



المادية :

يطلق على مذهب ماركس « الاشتراكية العلمية » تمييزاً لها عن ألوان الاشتراكية الأخرى ، وهو وصف أطلقه عليه أتباعه وأنصاره وليس اصطلاحاً علمياً ، وهو ليس مذهب ماركس وحده بل شاركه في البناء والتأسيس إنجلز ، ويقوم على تفسير التطور الاجتماعي والتاريخ تفسيراً مادياً لادخل فيه للعاطفة والشعور والروح ، ولولا أن العقل عندهما من إنتاج المادة أو أسمى إنتاجه لما أبديا نحوه اهتماماً مذكوراً .

والواقع أن ماركس لم يضع مذهباً ذا قواعد وأصول ، أو فلسفة مبتكرة ، فـنظرية « المادية » Materialism قديمة ، والمذهب نسب إليه اعتباطاً ، فهو لم يضع له قواعد وأصولاً ، بل كل ما وضعه آراء متناثرة مبثوثة في مواضع منفردة من كتبه ومقالاته التي جمعت معلوماتها على هدى من سبقوه من الفلاسفة ، وقام تلاميذه وأنصاره وجمعوا مما كتبه أصول المذهب المنسوب إليه .

(والمادية - كما قلنا - قديمة ، وتذهب إلى أن الوجود مادي ، والإحساس به مادي ، والمادة كائن محسوس به وفائق في حدود الزمان والمكان ، والعقل مجموعة المدركات الحسية ، وما ينتج عنه

هو من عمل الدماغ المادى ، فهو كالنور من المصباح ، المصباح مادى
كالدماغ ، والنور كالعقل ، وهو من المدركات الحسية .

وهذا المذهب ذو أصول وجذور متعمقة فى القدم ، فأنسان
الغاب المغلق الذهن كان يحسد ربه ويجعله مادة منظورة ، وماتزال
الشعوب البدائية تتخذ أربابا مجسدة حتى أيامنا هذه ، إلا أن المادية
العلمية قد سبق إليها ديمقريطيس ، وزعم أن الوجود نفسه مادى
كان من ذرات سابجة فى الفضاء ، وفى الفلسفة الإسلامية ذهب
بعض الفلاسفة إلى أن المادة لانفى ، وأن الوجود مادى كائن
الراوندى فى بعض كتبه عن النبوة ، إلا أن العلماء لم يأخذوا بمذهب
المادية منذ قريطيس حتى العصر الذى يسمى فى أوروبا عصر النهضة
فانبعثت فيه « المادية » من جديد انبعاثا قويا ، فزعم هوبس أن
الوجود مادة ، وأن الأخلاق والعلوم مظهر متحرك لها .

ومصدر فلسفة ماركس وإنجلز غير واحد من الفلاسفة
والكتاب ، ولها أساتيد كثير منهم فورباخ الذى اعترفا بأستاذيته
لأنه رفع من شأن المادية وأنكر الروح والنبوة والأديان فى
مؤلفه « حقيقة المسيحية » الذى صنفه سنة ١٨٤١ م .

وبنى ماركس وإنجلز مذهبهما الذى نسب إلى الأول على .

«المادية» ويجعلها ماركس سلما يرقى عليه كي يتسنى له إنكار الدين والأخلاق والفكر والفن والفلسفة والثقافة والقانون والسياسة ، ويتسنى له ردها إلى انعكاس الأحوال الاقتصادية ومصالح الطبقات، ويجعل لها «ظروفا» تمتد إلى الجذور المادية للحياة.

ويزعم كارل ماركس أن ارتقاء المجتمع هو تاريخ ارتقاء الانتاج لاغيره ، وتاريخ ارتقاء الانتاج قائم على استغلال المادة التي تكون منها الوجود المشتمل على ظواهر لانهاية لها تبدو في أشكال مختلفة تصورها حركة الطبيعة الدائمة ، وهذه الظواهر عند مايرتبط بعضها ببعض يجرى التطور في الطبيعة بوساطة الصراع بين الأضداد حيث تتصارع قوى غير متكافئة هي قوة الجديد والقديم والماضي والحاضر ، والزائل والموجود .

قانون ارتقاء المادة هو الأساس الذي يقوم عليه ارتقاء المجتمع الذي يوجده ارتقاء الانتاج .

والمادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية خارجة عن نطاق العقل ، وإن حياة المجتمع ووجوده المادى هما صاحب السيادة على الحياة التي يزعم الرأسماليون وأرباب « المصالح » أنها روحية ، وما الحياة الروحية إلا انعكاس ضرورات الحاملين والمغتصبين والرأسماليين ، وأفيون المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات المنحلة المتأخرة .

هذه خلاصة آراء ماركس وإنجلز أو خلاصة الماركسية
في « المادية » .

وقد تناول أقطاب العلم وأساطين نظرية « المادية » ونقضوا
كل أسسها التي أقامتها الماركسية نقضا يقوم على التجربة والبرهان
والحقائق .

وإن من الخطأ والجهل وضعف العقل أن يقول إنسان : إن
المادة كل شيء ولا شيء غيره ، أو يزعم أن الروح كل شيء ولا
شيء غيره ، والقول الذي يتفق في إثباته البداهة والعلم والتجربة
والواقع أن المادة والروح هما الوجود ، ولا يمكن أن يتصور
الإنسان أن أحدهما حقيقة والآخر عدم ، انهما - معا - حقيقة .

وإذا كان أحدنا لا يستطيع أن يسمى ابنه في عالم الغيب ،
فكيف يطلب من العقل أو من الإنسان أن ينكر مسمى معروف
الاسم قام على إثبات وجوده العقل والمنطق والضمير ، بل قامت
المادة نفسها على إثبات الروح وإن جهل العقل وجهلت المادة كنهه
وحقيقته .

إذا كنا نجعل كنه المادة بالنسبة لعنصرها الأصيل الذي تتكون

منه فقمين أن نجعل كنه الروح ، ولكن الجهل بشيء ليس مدعاة لإنكار وجوده .

إن ماركس وأتباعه ومن كانوا على شاكلته اعتنقوا المادية ليتخذوا منها وسيلة لإنكار الخالق ووجوده ، وقد بنى ماركس مذهبه - كاه - على إنكار وجود الله إنكاراً شديداً .

وليس بعد هذه « الهلوسة » هلوسة ، فإذا أنكروا وجود الله فلا جرم ينسكرون الروح ويزعمون أن الحالات النفسية والتجارب الشعورية مظهر من مظاهر المادة ، ومادام مظهراً من مظاهر المادة فهي مادة .

وبنوا على إنكار وجود الله قواعد جعلوا أساسها إخضاع الفكر والفن والحياة للمادة وفسروا التاريخ وكل حوادثه تفسيراً مادياً ، وعزوا الثورات التي قامت على وجه الأرض إلى الضرورات الاقتصادية التي انعكس منها الدين والحضارة والمدنية والأخلاق وكل موجود .

ويزعم إنجلز أن « العالم المادى الذى ندركه بحواسنا والذى نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة ، وليست المادة من إنتاج العقل ، بل العقل من إنتاج المادة ، وعلى حزب العمال ألا يقيم أعماله على مبادئ العقل ، بل يقيسها على الأحوال التى تقرر الحياة المادية للمجتمع لأنها عماد الرقى الاجتماعى ، المادة كل شيء وماعداها عدم » .

ولايبالى الماركسيون بالعلم والحقائق ، فهم مايزالون متمسكين
بمثل هذه الآراء التى زيفها العلم وأبان فسادها العلماء ، إن جميع
الناس يعرفون أن $2 + 2 = 4$ أما عند الماركسية فغير ذلك ،
قد يكون الناتج ٥ أو ٦ أو مليون .

ماذا يقول الماركسيون بعد الكشف العلمية التى تمت بعد
هلاك ماركس منذ ثلاث وسبعين عاما حيث تغير نظر العلماء إلى
« المادة » وإلى « المادية » وحيرهم إيجاد تفسير مقنع لها أو تعريف
جامع مانع يحصرها في حدود نظم حقيقتها وكنهها ؟ .

إن العلم بهذه الطفرة الخيالية خلال نصف القرن الأخير لم يصل
إلى حقيقة المادة وكنهها عندما تتجلى إلى عناصرها من الذرات
ومارال العلماء حيارى — أمام لغز المادة بعد أن انتهوا علميا إلى
أن المادة تتكون من ذرات — يتساءلون : ما الذرة ؟ كيف وجدت ؟
ما عناصرها ؟ سم تتكون هذه العناصر ؟ وما حقيقة الذرة ما كنهها ؟

إن الاجابة على هذه الأسئلة أشد تعقيدا وصعوبة من الاجابة
على من يسأل عن الروح وكنهها وماهيتها وحقيقتها ! .

ومع هذا يتشدد الماركسيون بأنهم أحاطوا بحقائق
الأرض والسماء .

ويكفى لبيان فساد الماركسية أنها أنكرت وجود الخالق إنكارا

قاطعاً ، وماثم جنون أقطع من هذا ، ومع هذا يجد هذا المذهب الباطل الهدام أتباعاً في بعض بلاد المسلمين والعرب .

إنني لا أنصوّر إنساناً كريماً الخلق ، أو إنساناً يرضى أن ينزل إلى درك أسفل من درك الحيوانية ، بل عندي الحيوان أكرم وأعز وأفضل من الذين ينكرون وجود الخالق ، ويزعمون أنهم « تقدميون » ومستقبليون .

إن إنسان الغاب منذ أقدم الأزمنة لا يعرف خالقاً لأن عقله كان محدوداً جداً محدود ، فهو لاه التقدميون المستقبليون رجعوا إلى الوراء ملايين السنين عند ما أنكروا وجود الخالق ، فهم الرجعيون حقاً ، لأنهم رجعوا إلى الوراء حيث الظلمة القائمة .

ولكن من يجرؤ على إنكار الخالق يجرؤ أكثر أن يصف نفسه بالعلم والتقدم وهو أبعد ما يكون عن العلم وأشد ما يكون تأخراً .

إنهم لا يستحقون ، ومن لم يستحق يصنع ما يشاء دون خجل أو حياء .

رأس المال والقيمة :

اطلع كارل ماركس على آراء بعض فلاسفة الاقتصاد والمال من أصحاب النظرية المادية وخصوصاً الرأسمالية وخرج منها برأيه الذي أضاف إليه من نفسه وملابس حياته فزعم مزاعم شتى ، منها : أن رأس المال قسمان : قسم ثابت يتجلى في الآلات ، ومتغير وهو الذي يظهر في صورة الأجور والقيمة التي تعطى للعامل .

ويعتبر رأس المال — عنده — عقيماً لأنه — كما يرى — أن رأس المال بطبيعته غير منتج . إنما المنتج هو العمل ، والعمل هو العامل نفسه ، لأن العمل ينتفي بانتفاء العامل .

ويتبطن كلامه كثير من المغالطة ، فرأس المال ليس عقيماً ، لأن العقيم لا يقبل الزيادة ولا يعتوره النقص ، ورأس المال قابل لأن يزيد وخاضع للنقص في كلا قسميه ، فالآلة تتآكل ، والعامل قد يقوى وقد يضعف .

ثم إن رأس المال هو المنتج الأساسي لأنه بغيره ما كان للعامل مجال للعمل فإنتاج ، وإذا فرضنا أن رأس المال غير منتج ، فإن العامل — ولاشك — يصبح تبعاً لرأس المال غير منتج .

وهذه مفسطة تشبه رأى من يزعم أن الكبير أصل الصغير
لأن البذرة لصغيرة من الشجرة الكبيرة أو أن الصغير أصل الكبير
لأن الشجرة من لبذر .

إن رأس المال في طبيعته وحقيقته منتج وغير عقيم ، والعامل
منتج أيضا ، وكلاهما جزء منه للآخر .

وبقصد ما ركس من رأيه في رأس المال ووصفه بالعقم القضاء
على الرأسمالية ليتسنى له — كما يزعم — القضاء على الاحتكار
والاستغلال وأكل حقوق العامل .

إن رأس المال يسلب العامل أجر عمله دون أن يكون له حق ،
والأجر لا يعطى إلا مقابل العمل الذي ينتجه العامل ، فبأي حق
يستطيع رأس المال مقاسمة العمل — أو العامل — أجره وهو لم
يعمل شيئا ، فالحاجة التي ينتجها العامل في وقت ما تساوى الزمن
كما يساوى رقم ١ في كفة رقم ١ في الكفة الأخرى ، إلا أن الأجر
الذي يأخذه العامل أقل بكثير مما يستحقه ، فهو يستحق على الزمن
الذي أنفق ١٠٠ مثلا كقيمة له أو يستحق على الإنتاج ١٠٠ مثلا
ولكنه لا يأخذ إلا ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠ فإين يذهب ما بقي ؟ يأخذه
رأس المال أو صاحبه . فبأي حق استباح لنفسه أجر غيره ؟

أما كان العامل أجدر بالحصول على حقه، من الرأسمالي المستغل
النهاب .

تلك أعاليط ماركس أو مغالطاته يريد أن يوغر صدور العمال
حتى يحاربوا رأس المال، ويتناسى أن فائض القيمة أو فرق الأجر
لا يأخذه رأس المال اعتباطاً وانتهاباً ، بل يأخذ حقه لأنه هو سبب
إيجاد العمل للعامل أو أحد طرفي الإنتاج ، ولولاه لما وجد العامل
سبيلاً إلى العمل .

ويتناسى ماركس أجر الخبرة الموجهة للعامل الذي يستحقه
رأس المال ، فالخبرة لم تأت بدون ممن أو عمل ، بل هي ثمرة تجارب
علمية وعملية وزمنية ، وهو مستحق عليها أجراً يأخذه من فائض
القيمة ، لأنه هو والعامل شريكان ، لكل منهما نسبة في القيمة ،
للعامل جزء منها هو أجره ولرأس المال جزء منها هو أجر آلاته
وخبرته وتجاربه وإشرافه وإتاحة الفرصة للعمل أو العامل .

وإذا أعطينا المائة كلها قيمة للعمل الذي هو العامل ، فإن
أجر استهلاك الآلة وما يلزمها من وقود ونفقات لتبقى صالحة
للاتنتاج ؟ وأين أجر الفرصة التي أتاحها رأس المال ؟ وأين أجر
الخدمة التي تظهر السلعة وتوجد لها المحتاج الذي يشتريها ؟ وأين

أجر فهم قانون العرض والطلب؟ وأين أجر الاختراع؟ وأين أجر استثمار المال.

إن السلعة لا قدم لها تمشى بها إلى السوق، وهي لا تستطيع أن تبيع نفسها، بل لابد أن يتولى رأس المال نقلها إلى السوق، ويتولى عرضها على الشاري، والسلعة لم تتكون من نفسها، وليس العامل وحده هو الذي أوجدها، بل سبقه عقل فكر وابتكر ثم أحسن التوجيه، وأتاح الفرصة، وأوجد السوق، وحشد لها من الجهود والناس جيشا يتولون أمرها حتى تباع.

وكل هذه « العملية » الطويلة العريضة لا تأتي عفوا وبدون أجر، فكيف نسلب حقوق هذه « العملية » ونعطيها للعامل وحده.

إن القيمة التي يستحقها العمل لم تأت من يده وحده، بل شاركه فيه رأس المال فهو جدير أن يحتسب من القيمة أجره تلقاء ما بذل. ثم إن العامل شريك سالم الخسارة، يأخذ أجر عمله ولا يسأل عن رأس المال. أكان رابحا أو خاسرا.

هذه مغالطات ماركس أو أغاليطه، أما مزاعم الشيوعية حيال الأجر فكثيرة أهمها :

أنها زعمت أن من في حوزتها من العمال يحصل على أجر يسد حاجته

وعند ما طغت المذهب تخلت عن هذا لأنه مستحيل التحقيق ، واضطرت أن تمشي على الطريق وهو أن يحصل الفرد من الأجر على قدر ما ينتج لا على قدر ما يحتاج .

ومهما يكن فإن الشيوعية قد استطاعت القضاء على الرأسمالية في الاتحاد السوفيتي ، ولكنها استبدلت بها رأسمالية من نوع بالغ السوء والشر ، إلا أن « اختفاء الرأسمالية في روسيا لم يعد بالنفع والخير على العالم ولم تمنحهم الحرية ، ولتدرك الطبقات الكادحة خارج الاتحاد السوفيتي كل الإدراك هذه الحقيقة المرة ألا وهي أن في روسيا شر أنواع الرأسمالية وأسوأها (١) » .

(١) امر دجيد .

الطبقة العاملة

زعم ماركس وأتباعه أن الشيوعية تعني بالطبقة العاملة وتعمل لإسعادها وتحريرها من الظلم الاجتماعي والجور الاقتصادي ، وتأمينها من الخوف والجوع والمرض ، ورفع مستواها المعاشي والخلقي ، وإعادة الحرية إليها ، ومساواتها بالسلادة الحاكمين ، ورد حقوقها المسلوقة منها إليها .

ولهذا زعم أن الشيوعية تروج في البيئات ذات الصناعات الكبرى التي يحتشد في صعيدها آلاف العمال ، لأن الشيوعية تشعرهم بما يلاقون من ظلم واستعباد من الرأسمالية التي لا تعرف الرحمة ولا العدل .

لم يصح تكهن ماركس هذا لأن الشيوعية لم ترح إلا في بلاد الصناعات المتأخرة كروسيا التي لم تكن معروفة بالصناعات الكبرى ، كما أن الشيوعية لم تنجز ما وعدت به الطبقة العاملة بل تمكرت لها وسلبتها الحرية ، وحشدتها للعمل ، وسخرتهم للإنتاج دون أن تحفل بشيء ، إلا أن يكون الناس آلة تنتج ، و « عقيدة الشيوعية أن المجتمع يمكن تحويل أفراده إلى أدوات أو ماكنات » (١) وحوات هي أفراد مجتمعها إلى آلات .

(١) يوميات أندريه جيد .

ولم يستجب من طبقات العمال الماركسية في غير روسيا التي استعان البلاشفة فيها بقوة الحديد والنار على تثبيت قواعدها ودعائمها ، وقد صدق أندريه جيد عندما وصف روسيا بعد رجوعه منها بقوله : « روسيا دولة بوليسية ، والكرملين لا يتوسل إلى إخضاع الناس بقوة البوليس والسجن وحدهما بل بقوة أكبر من ذلك ، بتلك القوة اللازمة للملكية كل عمل اقتصادي والاستيلاء على إدارته » .

ولو كان في مذهب الشيوعية « الفردوس » لاستجاب له كل الطبقات العاملة في العالم ، أو لاستجاب له العمال في بعض البلاد ، ولكن لم يستجيبوا لأنهم عرفوا أن الشيوعية تجعل من بني الإنسان قطعانا يسرها سوط الراعي الغشوم . وتمحو الشخصية الإنسانية وتذيبها في الدولة ، وتسلب الفرد حريته ، وتصب الآدميين في قوالبهم يحدونها حتى يسهل عليهم قيادة الجماعات والجاهير .

ولا يستطيع أي عبد الماركسية أن يتججج ويكبر ويزعم أن العمال في أمريكا أو بريطانيا أقل مستوى في الفكر والفهم والتميشة من زملائهم في روسيا ، بل العمال في الغرب — وعلى الأخص في

مريكا وبريطانيا — أرفع مستوى من العمال في الاتحاد السوفيتي ،
ل لا نسبة بين هؤلاء وأولئك في شيء .

يقول إجناز بوسيلوني أحد مؤسسي الحزب الشيوعي في إيطاليا
وأحد أقطاب الشيوعيين الذين رضيت عنهم موسكو ورفعت
مكانهم عليا ، يقول عندما زار موسكو وقابله فيها عامل إيطالي
اكتسب الجنسية الروسية لاختلاصه لمبادئ ماركس ولينين
وستالين : « جاءني هذا العامل يشكو من الأحوال المهيئة التي تحيط
بحياة العمال في المصنع الذي يشتغل فيه بموسكو » وقال : « إنه لا يرى
بأسا من تحمل النقص في الأغذية والمواد الأخرى ، ولكن لا يفهم
لماذا يبقى العمال تحت رحمة إدارة المصنع ، وليس لهم أحد يحميهم
أو يرعى حقوقهم ! ولماذا يكون حالهم أسوأ من حال زملائهم في
البلاد الرأسمالية ، ويسأل هذا العامل في أسى : أحقا أن أكثر
حقوق العمال التي سمع عنها ووصفت له في أزهى الصور مجرد أقوال
وكلمات نظرية ؟ » .

ولما وقف سيلوني على حقائق الشيوعية وعلى ما تلاقى الطبقة
العاملة من ذل وهوان وتعذيب وتجويع وسلب للحرية خرج
على الشيوعية وكفر بها واشتمأز منها ومقتها ، وحذر الطبقة العاملة
في كل بلاد العالم أن تنخدع بأكاذيب الشيوعية ومفترياتها .

وَيَصِفُ أُنْدَرِيهَ جَيِّدَ الَّذِي رَأَى بِصَحْبَتِهِ كِبَارَ مَوْظِفِي الْخَارِجِيَّةِ
الرُّوسِيَّةِ الْمُصَانِعِ وَالْمَزَارِعِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بُلْدَانِ رُوسِيَا ، بِصِفِّ حَيَاةِ
الْعَمَالِ الَّذِينَ عَاشَرَهُمْ وَجَلَسَ إِلَيْهِمْ وَرَأَاهُمْ وَهُمْ يَعْمَلُونَ فَيَقُولُ : « إِنْ
الْعَمَالُ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي أَبْشَعِ صُنُوفِ الْفَاقَةِ وَالذَّلَّةِ ، وَجَمَاعَةِ
« الْمُخْبَرِينَ » الَّذِينَ خَانُوا زَمَلَاءَهُمْ فِي السِّجْنِ وَالْعَمَلِ هُمْ أَصْحَابُ
الْخَطْوَةِ وَالْإِمْتِيَازِ فِي الْمُسْتَعْمَرَاتِ الْتَمُودْجِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، وَلَهُمُ السُّلْطَانُ
الْمُطْلَقُ »

وَيَهْزَأُ أُنْدَرِيهَ جَيِّدٌ بِرُوسِيَا فَيَقُولُ : « إِنْ مَا أَعْجَبَهُ فِيهَا أَنَّهَا أَلْفَتْ
تِلْكَ الْكَلِمَةَ : بِعَرَقِ جَبِينِكَ تَأْكُلُ خَبْزَكَ ، وَلَيْسَ صَحِيحًا أَنْ مَنْ
لَا يَعْمَلُ لَا يَأْكُلُ » .

وَيَحْذَرُ جَيِّدُ كُلِّ الطَّبَقَاتِ الْعَامِلَةِ فِي كُلِّ أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ
يَتَخَدَّعُوا بِأُكَاذِيبِ الشِّيْوعِيَّةِ الَّتِي قَضَتْ عَلَى إِنْسَانِيَّةِ الطَّبَقَةِ الْعَامِلَةِ
فِي بِلَادِهَا وَسَلَبَتْهُ كُلَّ حَقَّقِهِ

وَلَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ عَبْدٍ لِلْمَارْكَسِيَّةِ أَنْ يَنْكَرَ أَنَّ نَقَابَاتِ الْعَمَالِ حَمَتِ
الطَّبَقَةَ الْعَامِلَةَ وَمَنْحَتْهُ مِنَ الْحَقُوقِ وَالْأَجُورِ وَالْإِمْتِيَازَاتِ مَا لَمْ يَكُنْ
يَحْلُمُ بِهِ الْعَامِلُ فِي رُوسِيَا ، بَلْ إِنَّ الْعَامِلَ فِي امْرِيكَا وَفِي بَرِيطَانِيَا
يَتَمَتَّعُ بِحُرِّيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ أَكْثَرُ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ سَادَةُ الْكِرْمَلِينَ .

ومن الختماني التي عرفها العالم عن الشيوعية وما أعدت للطبقة العاملة فإن بعض عبيد الماركسية في الشرق يصدق الأ كذوبة الضخمة التي أطلقها ماركس وخلفاؤه من أن الشيوعية منحت العامل حق السيادة ، وأنه السيد الأمر الناهي ، وأنها تعد كل طبقات العالم العاملة بالسيادة متى تبلشت ، وتدفع الصفاقة والجهالة والظلمة عبيد الماركسية فيزعمون أن فضل ارتفاع مستوى الطبقة العاملة خارج الاتحاد السوفيتي يعود إلى الشيوعية التي حملت راية الدعوة التي تطالب برفع مستوى العمال .

إنهم لا يستحزن فيقولون ما يشاءون دون مبالاة ، وإلا فكيف يعلنون قيام دعوات إلى الإصلاح ورفع مستوى العمال قبل أن تعرف الشيوعية . وأن كثيرا من البلدان كان العمال فيها يعيشون في هناءة ورخاء قبل الشيوعية وبعدها .

وفضل ارتفاع مستوى العمال في البلاد الأخرى ليس مرده إلى الشيوعية ولكن إلى انتشار التعليم وضرورات الحياة التي كثرت مطالب العامل فيها .

إن المصانع تخرج ملايين القطع من حاجات الإنسان ، وكل إنسان محتاج إلى كثير مما أصبح ضرورة لازمة له ، فإذا لم يرتفع مستوى

معاشه فان تلك القطع تبور في الأسواق وعند بوارها تنقل المصانع أبوابها وتقف عن الانتاج والعمل ، فهي - إذن - مضطرة أن ترفع أجور العامل حتى تمكنه من الشراء ليضمن المصنع دوام عمله .

ثم إن القرابين الديمقراطية في البلاد الديمقراطية تقوم بحراسة الفرد وإعطائه ماله من حقوق ، ومن هذه الحقوق الطبيعية أن يكون غذاؤه حسناً ومسكنه صحياً وملابسه نظيفة وحرية مكفولة ، فإذا ارتفع مستواه فإن ذلك ليس من فضل الشيوعية . ثم إن قانون العرض والطلب مما يهيئ الفرصة للطبقة العاملة .

وإذا أخذنا بزعم الشيوعية وعبيدها وعزونا - كما يريدون - فضل ارتفاع مستوى الطبقة العاملة إلى الشيوعية فإن ذلك يتيح للشيطان أن يتبجح ويفتخر بأن الفضل له وحده في وجود الرسل والهداة والمصلحين والمرشدين وبناء المساجد والبيع والصلوات ، وفي وجود الأخلاق الفاضلة ، وفي سمو الإنسانية لأن ذلك ما كان ذا قيمة لو لم يكن هو موجوداً ، ولولاه ما عرفت الإنسانية قيمة الخير والفضيلة والسلام والحلال والبر والمعروف .

إذا جاز للشيطان أن يفخر بشيء من هذا فإن للشيوعية أن تدعى المفاخر والمزايا .

الديمقراطية:

(أقرب تفسير للديمقراطية أن يحكم الشعب نفسه حكما يعود النفع فيه إلى كل فرد منه بحيث تكون الحرية مكفولة ، والمساواة قائمة والعدالة سائدة ، وفرصة العمل والعيش متاحة ، والديمقراطية — بعد — أن يتمتع كل فرد بكافة ماله من حقوق مقرونا بأداء ما عليه من واجب نحو ربه ، ثم مجتمعه ونفسه وكل من يحيط به .

فهل الشيوعية تبنى قواعد حكمها على الديمقراطية ؟ وهل الشيوعي يتمتع بمزاياها ؟ .

إن الديمقراطية — أو الديمقراطية الشعبية كما يسمون — لا وجود لها في مجتمع الشيوعية ، وكيف توجد وهي تزعم أن الحرية — أولى مزايا الديمقراطية — تشغل الأفراد والجماعات عن الاهتمام بما يُصَبَّ عليهم من ظلم اجتماعي وجور اقتصادي ، ودستور الاتحاد السوفيتي نفسه يزعم أن الحرية ليست ذات قيمة كبيرة لأنها تلهي الجماعات عن الظلم الاقتصادي . ويجب أن تنفي حرية الفرد في حرية الجماعة .

وبهذه المنطق قضت على الحرية وعلى الديمقراطية ، وزعمت بعد

هذا أنها حققت المساواة ، والواقع أنها حققتها على منطق الشيوعيين الخاص ، وما أدرى كيف يجترئون فيسمون اشتراك الناس في الظلم مساواة ، إنها حققتها باستصفاء حرية الإنسان ، فهي تعطى الفرد الطعام تلقاء أخذ حريته ، ومن أراد الحرية فلا طعام ولا حياة .

المساواة :

وما هذه المساواة التي تجمع كل الأفراد في المصيبة والبلاء ؟

إن الشيوعية تزعم أنها تعمل للمساواة ، فالحقوق التي لهذا هي نفسها لذلك ، والواجب الذي يؤديه زيد هو نفسه الذي يؤديه عمرو ، وجعلت أبواب دعايتها تردد أنها المذهب المختار الذي يضمن المساواة ، ويضمن - على الخصوص - المساواة الاقتصادية ، وهو قول مردود لا يتبطن شيئا من الحق .

ولقد تخيل ستالين سنة ١٩٣٤ م خصوما في داخل الاتحاد السوفيتي نددوا بالشيوعية فرد عليهم قائلا : « إن هؤلاء الخصوم يحسبون أن الشيوعية تقضى بالمساواة في مطالب العيش لكل فرد ، إنه رأى سخيف يصدر من فكر مستتب ، إن المساواة التي أرادوها هي التي أضرب بصناعاتنا أعظم الضرر » .

ولانجد في الشيوعية مساواة أمام القانون ، ولا مساواة في الحقوق ، وقد زعمت أنها قامت للقضاء على الطبقات حتي لا يضم المجتمع إلا طبقة واحدة لا تفاضل بين أفرادها في الحقوق والواجبات والأجور ، ونفذت ذلك بالقوة ، ولكنها لم تستطع أن تستمر ، لأن قوة الممكن كانت أقوى من نظرياتها الخيالية ورغباتها الجيوشية ، وعندئذ تراجعف وأخذت بنظام الطبقات المتفاوتة في الحقوق والواجبات والأجور ، وأصبح في روسيا بضع طبقات هي : طبقة الحكام ، وطبقة المفكرين ، وطبقة الصناع ، وطبقة الزراع ، وطبقة المسخرين .

ذهب

طه

والمسخرون هم المساكين المغضوب عليهم ، وعددهم حوالي عشر سكان الاتحاد ، ونصيبهم من الدخل $\frac{3}{10}$ أما طبقة المفكرين فاعلى الطبقات أجرا ، وعددها $\frac{13}{100}$ من السكان ونصيبهم من الدخل $\frac{32}{100}$ ويدخل في هذه الطبقة الجواسيس وكل من يتخدم الماركسية أو الحكام .

لقد

وزعمت الشيوعية أنها فضت على الألقاب رغبة في المساواة بين الناس ، ثم عادت من جديد واعترفت بها ، فأصبح في الاتحاد الألقاب والرتب بأفطع مما كان عليه من قبل .

الحرية :

والحرية بجميع أنواعها غير موجودة، ومن يحاول أن يلد بأنته
أنواعها فقد حياهه، بل لا تستطيع في بلد الشيوعيين أن تقول :
إن «ماركوني» مخترع اللاسللكي، لأن الدولة تزعم أن مخترعه الأول
الأصيل هو الكسندريوبوف، وما ماركوني إلا لص دني، ونسبتك
الشيء إلى صاحبه جريمة يقع على مقترفيها أقصى العقوبة إذا كان
من تنسبه إليه غير روسي شيوعي، وفيما سبق من القول في هذه
الكلمة وفيما يأتي مصداق ما نذهب إليه . نعم، إن الحرية بجميع
أنواعها غير موجودة .

الحرية الاقتصادية :

فالحرية الاقتصادية لاتخذ في الثورة الروسية نصيراً، بل هي
مفقودة فقداً تماماً، لأن كل وسائل الإنتاج سواء أكانت
مصنعاً أم مزرعة أم أي مرفق من المرافق أو أي مصدر من مصادر
الثروة ملك للدولة لسل شي . قل أو كثير
على التنافس الذي هو روح الحرية الاقتصادية، ويتبع هذا انتفاء
اختلاف القيمة الناشئ من التنافس الذي لا تملك جماعته أو شركة

أو فرد ، فالفرد لا وجود له ولا حرية عنده لأنه استجبال من إنسان إلى « رقم » هو « عمل » في صورة فرد آدمي ، وهو أجير لدى الدولة ، وأجره طعامه وسكنه ، ثم إن الرأسمالية مفقودة بالنسبة إلى الأفراد والجماعات ، وموجودة بالنسبة للدولة ، لأنها استبدلت بالرأسمالية المعروفة رأسمالية كبرى هي رأسمالية الدولة ، وإلغاء الملكية الفردية ، والقضاء على التجارة الداخلية ، وتأميم جميع المؤسسات ، والاستيلاء على أموال الأمة ، واتباع نظام السلع ، واحتكار الدولة للتجارة الخارجية قضت على الحرية الاقتصادية والتعامل الاقتصادي .

حرية الفكر :

وحرية الفكر آخر ما يمكن أن يعيش على صعيد الشيوعية ، فالفكر المستقل غير موجود إطلاقاً ، والنقد معدوم ، والمعارضة مفقودة ، والرأي العام لا أثر له ، فالصحافة تحت سيطرة الحزب ، ولا تسيرها قوة الشعب ، بل تخضع لحفنة من الحكام الطغاة يوجهونها حسب مصالحهم الشخصية وأهوائهم الباطلة ، « بل إن مجرد تفكير المرء في نفسه اتهام له بأنه ضد الثورة وجزاؤه النفي إلى سيبيريا (١) » .

(١) كتاب « انبؤد لدى دوى » ص ٢٤٢ .

ولم يؤلف في روسيا منذ سيطرت عليها الشيوعية حتى الآن
كتاب واحد في نقدها ، بل لم ينشر قط مقال في صحتها ينقد
الماركسية ، ولا يباح دخول كتاب أو رسالة أو صحيفة تنقد
الشيوعية والشيوعيين .

بل جزاء كل من يوجد عنده القرآن أو الإنجيل أو كلمة
في نقد المذهب الشيوعي الموت أو النفي إلى مجاهل سيبيريا ، بل
لا يباح للأفراد أن يطلعوا في المكتبات على ما يخالف الشيوعية
أو يناوئها ، ومن يجزئ على طاب كتاب كهذا فإن البوليس السرى
المنتشر في كل مكان سيلقيه إلى النار .

وكل ما أنتجته المطابع الروسية خلال سيطرة الشيوعية من
فن أو أدب أو قصة موسوم بطابع الشيوعية ، حتى العلم نفسه طبعوه
بطابعهم ، فزعم رئيس مجمع العلوم الروسى الأستاذ فافيلوف أن العلم
السوفيتى ليس فرعاً من العلم العالمى ، بل هو علم منعزل مختلف
بطبيعته ونطاقه ، ومزيمته الأولى أنه دون غيره يقوم على أساس
فلسفى واضح ، وهو الأساس الذى وضعه ماركس وإنجلز
ولينين وستالين » .

حتى الطب والجراحة والرياضيات والفلك وعلم النفس وسائر

العلوم كلها موسومة بطابع الشيوعية ، ويراد من هذا أن يقنعوا الشعب الروسي بأن كل علومه منبثقة من الماركسية دون غيرها ، والعلم الروسى هو العلم الصحيح أما غيره فهراء .

و كثيرا ما نسمع عن انتحار أديب روسى ، ويعزون انتحاره إلى أسباب ملفقة ، وقد انتحر عشرات الأدباء فى روسيا ؛ بعضهم من الرعيل الأول فيها ، وسبب انتحارهم معروف وليس سوى الخوف من الطغيان والقتل بالتعذيب والإرهاب .

لماذا لم ينتحر زملاؤهم فى العالم غير الشيوعى ؟ وإذا كانت الأزمات النفسية سبب الانتحار فذلك كاف للدلالة على ما يلاقى الفكر وأصحابه من الشيوعية حتى يفضلوا الموت على الحياة .

وليعلم القارئ مدى ما يتمتع به الفرد الروسى من حرية تنقل له جملة من كتاب « لاشئ غير الأغلال » لمؤلفه نيكوليفسكى ؛ قال : « إن فى روسيا أربعة عشر مليوناً فرضت عليهم السخرة ويحيون كالبهائم فى حظائر تحيط بها حواجز مسيجة بالأسلاك الشائكة ، محروسة حراسة قوية بخنود يرابطون فى أبراج عالية لا يغفلون ثانيه عن مراقبة ، وزودت الأبراج بأنوار كاشفة قوية ، ويطوف آلاف الكلاب الضارية خارج الأسلاك ، فإذا تجاها رب من رصاص

الحرس لم ينبج من مطاردة الكلاب تفري لجه ، وهم يقومون بأشق الأعمال التي لا يطيقها بشر ، وهؤلاء هم رجال الدين وأحرار الفكر والأدباء وكل معارضى الشيوعية والمشتبه في أمرهم .

هذه هي الحرية في فردوس الشيوعية الكاذب ، وخلاصة القول أن حرية الفكر في روسيا لا وجود لها إطلاقاً .

حرية العامل .

وحرية العامل كباقي الحريات خرافة ووهم ، فالعامل مستعبد لا يستطيع أن يتبرم من مصنعه ، لأن مجرد التبرم يعتبر تمرداً عقابه السجن أو النفي أو التعذيب أو الموت ، وإذا تأخر عامل عن موعد العمل نصف ساعة فإنه يساق إلى النياحة لينال عقابه أياً كان العذر .

ولا يملك العامل أقل جزء من الحرية في عمله أو مصنعه أو في المزرعة ، لا حرية الشخصية مكفولة ، ولا حرية فكره مكفولة ، ولا حرية عمله مكفولة ، ولا يملك الانتقال من مكان إلى مكان إلا إذا أرادت الدولة ، فقد صدر قانون سنة ١٩٣٠ م يقضي بربط العمال بمصانعهم وألا يغادروها إلا بأذن خاص ، ولا بد للعامل أن بطيع طاعة عمياء كأنه جندي في الكتيبة لا حق له في الخروج ولا السؤال . يؤمر فيطيع ، وليس من حقه الاختيار والتفضيل .

وصدر قانون آخر سنة ١٩٣٩ م يقضى بعقاب كل عامل يتأخر عن عمله نصف ساعة ، وعقابه — كما ينص القانون — السجن أو التسخير .

وعاقب القانون كل من يعطف على عامل متأخر عن موعد العمل ثلث ساعة كأن لم يبلغ أو ستر أمره أو تغاضى عنه أقسى عقاب ، ويسمى القانون العمال المتأخرين دقائق عن الموعد « مجرمي التأخير » والعاطفين عليهم « مجرمي التسير » .

ولا يعطى العامل إجازة إلا نادرا ، وإذا أعطيها فلا بد أن يكون انتقاله معلوما معروفا وإلا فالعقاب الأليم .

حرية الانتقال .

وحرية الانتقال غير مكفولة لأحد حتى أعضاء الكرملين ، ولا يباح لروسى أن يتمتع برحلة ، وإذا منح حق رحلة فلا بد أن تكون في داخل الاتحاد وتحت الرقابة ، أما الخارج فلا ، إلا من تبعه الروا في عمل رسى .

وصدر في روسيا قانون يسمى « قانون نظام البطاقات » يجبر كل

إنسان أن يحصل على بطاقة معدة له يكتب فيها كل ما يهيم بالبوليس أن يعرفه حتى الذوق والطعام والشراب واللباس .

الحرية الشخصية .

والحرية الشخصية معدومة ، وهي تموت بطبيعة الحال في بيئة تسلب الفرد حرية التفكير والقول والعمل والرأى والانتقال ، وتجعل للبوليس السياسى السلطان المطلق يقتل من يشاء دون أن يطالب بإبداء الأسباب ، وللقاضي أن يحكم بإعدام أى فرد بحجة أنه خطر على الأمن ولو لم يقدم دليل على الاتهام ولو لم يكن خطرا .

ويصور أندريه جيد الحرية بقوله : « زرت مركزا جماعيا نموذجيا في الاتحاد السوفيتى ودخلت عدیدا من البيوت فيه ، وليتنى أستطيع أن أصور لكم أثر الألم البليغ الذى تركته في نفسى زيارته وأعنى به انتفاء الحرية الشخصية كل الانتفاء والخلو التام من مظاهر الاستقلال الذاتى ، فقطع الأنثا البالي القبيح وصورة ستالين في كل بيت . وينسج تبادل بيت بآخر درن ان يشعر الساكن بأى تغيير ، هذا البيت بأثاثه هو البيت الثانى نفسه في كل شئ » .

حرية الاعتقاد والعبادة

أما حرية الاعتقاد والعبادة فمثل ماسبق من الحريات ، ويظهر ذلك من موقف الشيوعية من الأديان جميعها ومن الأخلاق الفاضلة كلها .

عرفت الشيوعية أن الحرب التي تهددها وتمحوها من الوجود هي الأديان وعلى الأخص دين الإسلام ، لأنه الدين الذي يعنى بإنشاء المجتمعات وحراسة الجماعات والأفراد ، ويضع النظم والقوانين ويقدم الحلول الصحيحة لكل مايشغل بال العالم من مشاكل .

عرفت الشيوعية أن الخطر الوحيد الذي يهددها هو الدين فأنكرت وجود الله أشد الإنكار ، لأن الأديان الصحيحة تقوم على إثبات الوجدانية لله والإيمان بوجوده ، وأنكرت الدين حتى يتسنى لها إنكار الخالق ، وزعم ماركس : « أنه لا إله إلا المادة ، والمادة كل شيء ، والحياة هي المادة » وقال إنجلز : « لا مكان لوجود الله » وقال هوبز : « لا وجود لله » وقال ماركس : « رسالة الطبقة العاملة للقضاء على الدين والمتدينين والداعين إليه » وأيده الحزب الشيوعي بقوله : « لا يستطيع حزبنا أن يكون محايدا للدين ، لأن الدين يناقض الشيوعية والشيوعية تنافيه » .

فما قول الطبقات العاملة ؟ أتقبل أن تحارب الدين الذي يحمي كل فرد سواء أكان حاكما أو محكوما من كل أنواع الظلم ؟

ثم لا يكتفي ماركس بانكار الله وإلغاء الدين في ضمير الإنسان وحده ، بل طلب أن يستعين بالانكار في دراسة كل ما يريد دراسته فزعم قائلا : « إن امتداد إنكار وجود الله إلى دراسة الحياة الاجتماعية يكسبنا نتائج هامة إذ يفسر المجتمع ويرد الجوادث إلى أسبابها المادية البعيدة عما يسميه الجهلاء الإرادة الإلهية أو الإله » .

عرف الشيوعيون أن الدين يحض على الخير والرحمة والسلام ، ويبنى المجتمع على أسس الفضيلة والتعاون والعمل الصالح ، فخاربوه وقضوا عليه في الربوع التي أخضعوها لحكمهم ، ووصفوه بأنه « أفيون الشعوب » وأنه متكأ العجزة القاعدين ، وألعوبة الرأسماليين والطامعين اتخذوه للسيطرة على الطبقة العاملة والتحكم في العامة .

وبدأت الثورة الروسية بحملة على رجال الدين واستأصلتهم ولم ينج منهم إلا عدد جد يسير حرم عليه الظهور في المجتمعات ، وأغلقت بيوت العبادة وأحالتها إلى حظائر وملاعب ومواخير مباغاة في الإزراء والتحقير والتنكيل .

ولم يكفهم هذا ولا غيره فأقاموا متاحف للإلحاد وألفوا جمعيات
لادينية لمحاربة الأديان وإظهارها على غير حقيقتها تنفيراً للناس منها ،
وما كانوا في حاجة إلى هذا الأسلوب من التنفير بعد أن أجبروا الناس
على الكفر والإلحاد ، وأخرجوهم من الدين كرها وقسراً .

قضوا على الدين لأن الدين يوجد المجتمع الفاضل ويحرسه ،
ويزود الانسان بأحسن الخلائق وأنبل الصفات ، والدين والشيوعية
خصمان لا يجتمعان على صعيد مهما كان الأمر ، ولا يمكن أن يتهادنا
لحظة مهما كانت الدواعي والأسباب .

قضوا على الدين لأن الشيوعية لا تجد متنفساً لها إذا كان الحكم
للدین . ولهذا قضوا عليه . ويزعم العبيد المسخرون المأجورون
وغير المأجورين أن الشيوعية تترك للفرد حرية العقيدة ، كل إنسان
حر في اعتناك أى دين يعجبه ، وكل إنسان حر أن يكفر ويسب
الله والأديان ، ويكذب هؤلاء معبودهم ستالين — الذى هوى
على أم رأسه — ستالين الذى أذاع بياناً فى الرابع من شهر سبتمبر
سنة ١٩٤٣ م عندما أراد أن يتملق رجال الدين فى العالم فقال :
« إن الحزب الشيوعي لا يسعه بعد مابدا من رجال الدين فى صفوف
القتال من وطنية ألا يحرم الروسين بعد الآن من حرية الضمير
وحرية الاعتقاد » .

إن ستالين يعترف بأن الروسيين كان محرمًا عليهم حرية الضمير
وحرية الاعتقاد ، ولم يمنحهم هذه الحرية إلا منذ أعوام قبل
هلاكمه.

ولقد نشر بيان ستالين في جرائده الرسمية وأذاعته محاط
إذاعته ومحاط العالم الإذاعية في كل مكان ، وهي تدل دلالة
واضحة على أن حرية الاعتقاد لم تكن مكفولة في روسيا ، ولم
تبح إلا في سبتمبر سنة ١٩٤٣ م عندما كان الألمان يهددون
معازل الشيوعيين .

ولم يستطع الأفراد الإفادة من هذه الحرية لأن ستالين لم
يعطها صادقاً ، بل كان يخادعنا كاذباً ، فهو عندما أباح لمن ناحية
فتح بعض الكنائس والمساجد ورأى إقبال الروسيين خشي أن
تستيقظ الروح الدينية ويرفع الخطر رأسه على الماركسية فأمرها
بأن جعل عبيده الملاحدة ينفذون الأديان تفضيلاً وينقدونها
ويكرهون الناس فيها ويختلقون للرسائل تهائم منها براء .

وعندما يشعر الفرد - أي فرد وكل فرد - في روسيا أن
الدولة تكره شيئاً ولو بعض الكره ، أو لا ترضى عنه ،^٩ يمتنع الفرد
الفرد المسكين فراراً بنفسه ، وبذلك خلت بيوت الله من المصلين

إلا الجواسيس الذين كانوا يترددون عليها يرصدون من صدقوا
بيان ستالين وانخدعوا بقوله .

ولا تجد في روسيا كلها مدرسة واحدة — نعم واحدة — لتعليم
المسيحية أو الإسلام ، ولا تجد فيها من يؤدي فرائض الله علانية ،
بل كل ما فيها من آثار الدين أن تجد فيها بعض الشيوخ الطاعنين
في السن يدينون بالإسلام أو المسيحية وأبقت عليهم الشيوعية
لا إيماناً منها بحرية الاعتقاد أو رحمة بأولئك المساكين ، بل أبقت
عليهم للافادة منهم عندما تريد أن تتظاهر بأن الشيوعية تبيح حرية
الاعتقاد جراً المغنم أو دفعاً لضر .

⑥

وأولئك الشيوخ المساكين ليسوا خطراً على الشيوعية .

ومن هذا الرصيد المتبقي من المتدينين تنفق الشيوعية بتقدير
عندما يعن لها أن تخدع الناس باسم حرية الاعتقاد ، فتختار منه
من تختار وتبعثه للحج إلى مكة أو القدس ، ومن تأذن لهم
لا يتجاوزون المائة من أبناء جميع الأديان .

وليعلم القارئ الفارق بين عهد الشيوعية وما قبله من العهود
في هذا السبيل نذكر الحقائق المشهودة منا نحن أبناء مكة
المكرمة — حرسها الله — وحقائق المستقاة من الوثائق الحكومية .

5. ← كان مجموع ما يأتى كل سنة إلى مكة المكرمة للحج من روسيا وبخارى والقرم وغيرها من البلدان التى احتلتها الشيوعية حوالى ثمانين ألفا مع وعورة الطريق وسوء « المواصلات » وعندما سيطرت الشيوعية لم يقدم حاج واحد ، فانهدر ركن الإسلام الخامس ، ومنذ بضع سنين أذنت للحج ، ولكن عدد من حجوا لا يتجاوزون الأربعين وكلهم شيخ كبار .

ولا تجد فى كل البلدان التى تحكمها الشيوعية شابا يعتنق الإسلام أو المسيحية ، لأنها ربه ونشأته على الكفر والإلحاد ، وقد سأل على أمين أحد صاحبي دار أخبار اليوم شابة روسية عندما زار موسكو منذ بضعة شهور عن الله ، فسألته : وما الله ؟ إننا لا نعرفه ولا نسمع به .

وهكذا أعدت الشيوعية الشباب الروسى .

ولم تقف جهودها التى أثمرت القضاء على الدين بعد أن تم لها ما أرادت ، بل والت بذلها ، فاستصفت الأوقاف الدينية ، وحرمت التعليم الدينى ، ورصدت العقاب بالموت لمن يخلف بالله ، وأصدرت مجلة سمتها « لادين » وزعتها فى كل مدينة وقرية بالاتحاد ، وأسست « اتحاد الإلحاد » وبلغت فروعه سنة ١٩٣٥ م سبعين ألف فرع تضم عشرات الملايين .

وفي الدستور السوفيتي الذي صدر سنة ١٩٣٢ م نص على وجوب القضاء على الأديان كما صدر في مايو سنة ١٩٣٢ م قانون على الهيئات الدينية خلال خمس سنوات جاء فيه : « في أول مايو سنة ١٩٣٧ م لن يبق في كافة البلاد أى مكان للعبادة ، ويجب القضاء على فكرة الإلهة التي هي من بقايا القرون الوسطى المظلمة » .

وأخاف القانون الناس فنفروا من الدين وأخذوا ينشرون الإلحاد ، والتعليم نفسه ينشر الكفر ، وحذرت الشيوعية كل الأفراد من التدين وذكرت أنها لا تقبل في صفوفها من يؤمن بدين من الأديان .

وفي القوانين التي صدرت سنة ١٩٣٩ م قانون يمنع الاجتماعات الدينية ويمنع الهيئات والأفراد من الاحتفاظ بأى نوع من الكتب الدينية .

هذا موقف الشيوعية من الأديان جميعها ، أما موقفها من دين الاسلام خاصة فهو موقف العدو اللدود اللئيم القذر من خصمه الشريف .

الشيوعية والاسلام

الشيوعية تعرف أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي أتى

بقواعد محكمة للحكم والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والمالي والتجاري ، ولم يترك أى مشكلة يمكن أن تحل بفرد أو جماعة أو أمة أو حكومة إلا قال رأيه الواضح الصواب فيها ، ومنح الانسان الحرية ووضع قواعد المجتمع الفاضل ومد للانسانية طريق الخير وصانه من الانزلاق فى بؤر الشر .

عرف الشيوعيون أن مذهبهم لا يمكن أن يسود مادام الإسلام ، فحاربوه أعنف حرب عرفها تاريخ الأديان ، وحاولوا أن ينشروا مذهبهم فى الشرق الإسلامى بكل وسيلة ، ولكن الدين صدى تيارهم الجارف وذاد عن حمى المسلمين الشر ، وهزم الماركسية شر هزيمة جعلت مولوتوف يقول فى خطبة له : « لن تنتشر الشيوعية فى الشرق إلا إذا أبعدنا أهلها عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الخبز وإلا إذا قضينا على الإسلام » .

وبذلوا المستحيل لصرف المسلمين فى الشرق الإسلامى عن القبلة ، وأرادوا هدم الإسلام فخذلهم الله وسلم بلاد المسلمين من الخطر الأحمر ، وليعلم مولوتوف والكرملين أن الغد القريب للإسلام إن شاء الله ، فلقد استيقظت شعوب الأرض المسلمة وحررت نفسها من الاستعمار الغربى ووقفت أمام البلشفية وقفه الجبار ، ولن تستطيع الشيوعية هزم الإسلام ما كان فى الوجود ذرة واحدة .

أولئك الشيوعيون
الذين هم
الذين هم

أما المسلمون في روسيا والبلدان التي احتلتها الشيوعية مثل تركستان وبخارى وطاشكند وفرغانه وخوارزم وأرمينية فقد حصدهم حصداً ، واستأصلتهم استئصالاً ، حتى الأطفل الأبرياء كانوا طعمة لرصاص الشيوعية المنهمر ، لقد قتلوا من المسلمين في هذه البقاع ما يعدون بالملايين .

أما من نجوا من القتل ولم يستطيعوا الفرار فقد أذلهم وأرغمتهم على اعتناق الشيوعية وفي سنة ١٩٣٣ م اتبع البلاشفة الملاعين طريقة فاجرة شيطانية للقضاء على الروح الدينية في الأطفل ، فكانوا يجمعون الأطفل في « عابر » كبيرة في كل المدن الاسلامية المحتلة من الشيوعية ويقولون للأطفل : هل الله موجود ؟ فيجيبون في بساطة وبراءة : نعم ، ويسألونهم : من الذي يعطيكم الطعام ؟ فيجيبون : الله . فيقولون لهم بعد تجويعهم : هيا اطلبوا من ربكم الطعام ، فيصيح الأطفل : يا رب ، أعطنا الطعام ، ويرددون الدعاء ، وينتظرون الاجابة ، والسماء لا تليق بالطعام جاهزا في صحنون ، والله قد جعل لكل شيء سبباً ، ويطول انتظارهم حتى يلمون من الجوع ، وعندئذ يقول الأبالة الخادون : قولوا أعطنا الطعام يا ستالين ، فيقولون ، وعندئذ يهرع الخدم بالطعام الممتاز الفاخر ، فيطعمون ويشربون ، وبعد أن يمتها يقول لهم الشيوعيون : أرايتم ، لو كان الله موجودا

حقا لأعطاكم الطعام ، ولكن لأنه غير موجود لم يعطكم ، إنما ستالين هو إلهكم ، وهو الجدير منكم بالعبادة والذكر والتقديس .

آلاف اللاجئين الذي شردتهم روسيا يروون هذا ، وكل فريق منهم من بلد ويعيش في بلد ، آلاف في الهند وآلاف في إيران وآلاف في الحجاز ، وكل مدينة من مدن هذه البلدان تضم مئات وآلاف من هؤلاء اللاجئين وكلهم يروون هذه الحادثة المكررة على بعد الديار واختلاف اللغات .

ولا يظن القارئ أن هذا الكلام خيال أو من نسج اللاجئين المشردين ، فله أشباه ونظائر في الحوادث التي وقت قريباً وهي لا تقبل الشك .

لقد عرض منذ شهر فيلم روسي عنوانه « سقوط برلين » صنعه الكرمليين نفسه ، وفي غير منظر كنت تجد الجيش الروسي في ميادين الحرب يتهلون إلى ستالين قائمين : انصرونا يا ستالين ، لن نهزم مادام ستالين معنا ، سننتصر لأن ستالين معنا .

هؤلاء الرجال بالملايين وهم في حاة تجعل الإنسان يتجه إلى خالقه يطلب منه العون والتصر يتجهون صوب الكرمليين ويدعون

ستالين ، فإذا أرغم الأطفال الأبرياء من قبل البلاشفة
المردة فلا غرابة .

إن دعاء الرجال الأشداء المحاربين لستالين وابتهاهم إليه
وطلبهم منه العون والنصر أكبر من دعاء أطفال مغلوبين أبرياء ،
فإذا كان ما عرضه الكرملين نفسه في فيلم « سقوط برلين » كذبا
أو خيالا فإن حادثة الأطفال تصبح مجالا للمظنة والتكذيب ، أما
وذلك اعتراض الشيوعيين فهذا أدعى إلى القبول والتصديق .

قضوا على الروح الدينية في نفوس أطفال المسلمين وغير
المسلمين بتلك الأساليب الخبيثة ، أما المسلمون الناجون من الموت
والاستئصال فقد أرادت الشيوعية أن تمحو منهم كل شعور ديني
أو شعور بالخير نحو إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى ، وأن
تقطع صلاتهم بعضهم ببعض ، فأصدرت الشيوعية سنة ١٩٣٣ م
قانونا يقضى بحسم استعمال الحروف العربية ويلزم المسلمين القلائل
باتخاذ الحروف اللاتينية حتى يكتبوا صلواتهم بباريهم وبلغه
القرآن ، ثم في سنة ١٩٣٧ م رأت الشيوعية أن اتخاذ الحروف
اللاتينية غير كاف في صبغ المسلمين باللون الأحمر فقرضت عليهم
اتخاذ الحروف الروسية وفرضت عليهم اللغة الروسية وآدابها .

وثقافتها الاتحادية عوضاً عن العربية والثقافة الإسلامية وبدلاً من اللاتينية التي ترجع إليها بعض ذخائر العرب والمسلمين .

واستأصلت الشيوعية كل صلة بين المسلمين في الاتحاد الروسي وإخوانهم خارجه بأن قصت على الروابط الروحية والثقافية بين مختلف القوميات واللغات والأجناس ، لتتم لها الحيلولة بين المسلمين في روسيا وخارج الستار الحديدي .

وإن ما لحق المسلمين في روسيا الحمراء من عذاب وتقنيل وتشريد واستئصال للعالمين منهم أبكى ألباناً مسيحيين أنفسهم فاستنزل اللعنة على البلاشفة ودعا الله أن يرحمهم من هؤلاء الشياطين الكفرة الفجرة ، وشتمى المسلمين أجمعين عراء .

وبدل موقف "شيوعية من الأديان كلها ، ذلك الموقف الذي أشرنا إليه في اینجا ، راسدً لنا على إثباته بالوشاق والأسانيد ، على نصيب الناس من حرية الاعتقاد وحرية العبادة .

ونخلص من كل هذا إلا أن الحرية بجميع أنواعها منقودة في الاتحاد السوفيتي .

السلام على

من مفتريات الشيوعية والشيوعيين أنهم يعملون للسلام العالمي

وأن قواعده لن تقيمها إلا الماركسية ، وأن الرأسمالية هي التي تزلزل قواعده السلام والأديان وتثير الحروب العدوانية من أجل سيطرة طبقة خاصة .

وتاريخ الشيوعية القريب المعاصر يثبت غير ذلك ، فأساس مذهبهم قائم على إثارة القلاقل والفتن والحروب ، وتكذيب دعاوهم من أقوالهم وأفعالهم أنفسهم ، وأول دليل على أنهم « المخربون » الهدامون الذين يذبحون كل يوم حمامة من حمام السلام تأسيسهم الشيوعية الدولية (الكومنترن) واسمها يدل عليها ، والقصد منها نشر المذهب الهدام في كل أقطار الأرض ، وإتزاز الدين والأخلاق من نفوس العمال ووضع الشيوعية بدلها وسوقهم إلى الميادين ليكونوا وقود الفتن وباعثها .

وأسس الكومنترن إثارة الفتن السياسية والاضطرابات الاقتصادية وإقلاق المجتمعات ، وشغل الحكومات بأفانين من النزاع الداخلي تشغلها عن الاستعداد لمواجهة العدوان الخارجي ، ومساعدة الطبقة العاملة على الثورة تمهيدا لتغيير كل أنظمة الحكم في العالم ليسهل على الشيوعية أن تذب إلى كراسي الحكم .

لماذا أسس الشيوعيون الكومنترن إذا كانوا يريدون السلام العالمي ؟

ولكن أنصار الشيوعية يزعمون أن روسيا ألغت الكومنترن
رغبة في السلام وينسون أنها تظاهرت بالغائه عندما كانت مهددة
من النازية سنة ١٩٣٤ م تقريبا للحلفاء حتى تضمن عون
الديموقراطيات .

وسواء عليها أتظاهرات أم لم تتظاهر فإن الحلفاء كانوا مضطرين
لمساندة روسيا ومساعدتها عسكريا لأنها كانت تحارب هتلر الذي
هددهم شر تهديد ، ولكن إذا لم تتوصل الشيوعية بالكذب
والرياء فمن يتوصل؟

إنها ألغت الكومنترن في الظاهر ، ولكنها لم تلتغ حقيقة فقد
غيرت الاسم ، واستبدلت بالكومنترن مكتب الاستعلام الشيوعي
(الكومنفورم) ومهمته مهمة الكومنترن نفسها . يقول جرافت
شنكو — أحد كبار الشيوعيين الذي ابتعثه الكرملين إلى أمريكا
فانتهر الفرصة وبقي فيها لاجئا ولم يعد إلى روسيا — يقول: إن
موسكو لا تزال توجه الحركات الشيوعية في جميع أقطار الأرض
برغم تظاهرها بحل الشيوعية الدولية .

ويؤيد قول جرافت شنكو وغيره ستالين نفسه الذي يقول
في كتابه « مشاكل اللينينية » : « إن من حق روسيا بل من واجبا

استخدام القوة مع استخدام كل الوسائل التي تبلغنا أهدافنا في إشعال نار الثورة في كل بلد أجنبي إذا ما أتاحت الفرصة لإشعالها ، والفرصة لا توجد من تلقاء نفسها ، بل لابد أن نبذل المستحيل حتى نوجدها ونستغلها في مصلحة الماركسية .

وفي التمهيد المكتوب لمشاكل اللينينية يقول كاتبه : « إن دراسة تاريخ الحروب تطمئننا وتجعلنا نعتقد جازمين أن النصر سيكون للشيوعية التي ينشرها ستالين كما نشرها لينين ، ووسيلة هذا النصر التي لا وسيلة سواها الحرب وإشعال نار الفتن في كل بلاد أجنبية » .

ولست هذه عقيدة الشيوعيين المسيطرين ، بل كان هذا هو رأى ماركس وإنجلز الذي وزع على مواد الدستور السوفيتي الذي جاء فيه : « إن الشيوعية تؤمن بمبدء اجتماعي واحد هو صراع الطبقات » ويزعم ماركس وإنجلز أن « تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات » ومن أقوال ماركس المشهورة : « صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى دكتاتورية الطبقة العاملة ، وهذه الدكتاتورية لن تتاح إلا بإشعال نار الثورة العمياء والانقلاب الشامل المبيد ، ولن تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها إلا بنفس جميع طبقات المجتمع المتراكمة فوقها

بعد أن تصححو من الأفيون الذي خدرته به الأديان حتى لا تنفيق
فتتحرك وتنهض وتبید .

ويضيف لينين إلى أقوال ماركس وإنجلز قوله : « من غير
نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية ، ورسالتنا أن نثير الطبقة
العامة ونملأ قلوبها بالحق والغيظ حتى تستطيع هدم المجتمع بآبادة
الطبقات التي تتراكم عليه . »

ويأتي ستالين ليردد آراء متبوعيه الشياطين فيقول في رسالته
« المادية الجدلية » : « تحرير الطبقة العاملة وقف على الثورة
الدمرة ، ولن تثور الطبقة العاملة إلا إذا ملأنا صدورهم بالحق
والحق على الطبقات الأخرى والخوف منها ، فالقت والحقد والخوف
والضعينة هي بواعث الثورة ووقودها ، وعندما تبدأ الثورة نلقي فيها
بالوقود تلو الوقود حتى تلتهم كل من يتاوتنا . »

وما أظن بعد هذا يبقى مجال للشك في أن الشيوعية هي التي
تهدد السلام العالمي ، ثم إن جرائمها الفتاكة التي تلقى في الظلام
فتلوث النفوس والضمائر ، وينحرف المصابون بها عن الجادة ما تزال
تلقى بوساطة وسائلها ، وآية ذلك ما نقرأ أو نشهد من قبض
الحكومات على أوكار شيوعية تعمل على نشر السموم والجرائم .
ولولا أن الله رحيم يهتك الأسرار سن هؤلاء الخربين ويرد
كيدهم إلى نحورهم لسالت دماء وأزهقت أرواح .

التعصب الجنسي

من أكاذيب الشيوعية التي انخدع بها الأغرار وبعض حسني
النية من غير الروس أن الشيوعية قامت للقضاء على الجنسية والقومية
والوطنية ، وأنها تفتح صدرها لبني الانسان دون أن تعباً باختلاف
الأجناس والألوان واللغات والأديان ، وأنها تحضن الانسان أيا كان ،
وزعمت أن التعصب الجنسي مقضى عليه لا محالة بواسطة الشيوعية
التي تموت في ترجها القوميات والوطنيات .

وتكهن كارل ماركس نفسه بأن الشيوعية آفة الجنسية
والقومية والوطنية ، وأنها متى سيطرت ماتت هذه الفوارق التي
أخرت الاقتصاد العالمي .

وأراد الله أن يفضح الشيوعية ويظهر أكاذيبها فكانت لها دولة
تملك سدس المعمورة من الأرض وعشرها من السكان ، فهل أنجزت
ما وعدت ، وطبقت مبادئها هذا ؟

كلا ، نقولها ودليلنا الشيوعية نفسها ، فقد لجأت إلى الوطنية
تذكي بها حماسة الجيش الروسي وتشير حفاظه ضد الألمان ، حتى
أن ستالين نفسه عندما أراد تسويخ إباحة حرية العبادة للقلة من

لص

المسلمين والمسيحيين في زمن الحرب زعم في بيانه أن الحكومة الروسية تمنح رجال الدين حرية العبادة لما أبدوا من وطنية صادقة في صفوف القتال .

وأشاد ستالين وزملاؤه بالقومية إذكاء الروح الوطنية ، وطلبوا إلى المواطنين الروس الصبر والكفاح حتى يبرهنوا لغيرهم تفوق « الجنس الروسى » وإيمانه بقوميته .

أما التعصب للجنس فلم يؤثر عن أمة أنها فعلت ما فعل الشيوعيون ، فقد تفردوا في هذا المضمار واتهوا إلى حد الوقاحة الوقحة المخجلة لو ينجحون .

وبلغت بهم القحمة أن يجعلوا العلم الذى لا وطن له ولا لون ذا جنس ولون ، جنسه روسى ولونه أحمر ، حتى أن رئيس مجمع العلوم الأستاذ فافيلوف قال في خطاب له وردده في مقالانه كما وردده غيره من العلماء والحكام والكتاب من الروس : « العلم السوفيتى ليس فرعا من العلم العالمى ، بل هو علم منعزل مختلف بطبيعته ونطاقه ، ومنزبته الأولى أنه دون غيره يقوم على أساس فلسفى واضح ، وهو الأساس الذى وضعه ماركس وإنجلز ولينين وستالين » .

مارأى أذئاب الشيوعية في الشرق العربي والاسلامى في هذه
الاضحوكة أو المهزلة ؟ أيصح أن تكون النتيجة الحسائية من
 $٢ + ٢ = ٤$ نتيجة حمراء . إذا لم يصح هذا فزعم فافيلوف باطل ، ومع
بطلانه يشير السخرية من رجل مبرز في العلوم يرأس مجعاً علمياً يضم
آلاف العلماء النابغين ، ولكن الشيوعية التي لا تخجل تجر العلماء
أن يقولوا ما يجعلهم سخرية أمام غيرهم وهم مجربون فرارا بجلد
أن يسلخه القصاب الروس إذا لم ياتمروا بأمره .

وأفزع من هذا أن تستبد القمحة بالشيوعيين إلى حد
الاستخفاف بالعقول والحقائق والتاريخ ، وتبجح أمام العالم
بدعاوى يعرف نمذة الابتذالية وطامة الناس كذبها ، ويحملهم على
الكذب العريض السافر والاستخفاف المبهين تعصبهم الجنسي الخفير ،
فهم يدعون أن الاختراعات الكبرى في العصر الحديث أصحابها
الأصلاء روسيون ، ومن نسبت إليهم من الأمم الاخرى سطوا
على المخترعين الروسيين وسلبوهم حقوقهم وادعواها كذبا وبهتاناً ،
وزعمت الشيوعية أن «ماركونى» ليس مخترع اللاسلكى ، وإنما مخترعه
الحقيقي هو «الكسندر بوبوف» الذى اخترع اللاسلكى سنة ١٨٩٥م ،
ونشر العلماء الروس المختصون في علم الراديو بجرده «أرضستيا»
خطاباً زعموا فيه أن ماركونى ليس إلا لصاً سطوا على بوبوف ،

واحتفلت روسيا منذ إحدى عشرة سنة بالذكرى الخمسينية بمناسبة مرور خمسين عاما على هذا الكشف العالمي ، وقررت الحكومة الروسية تخصيص يوم سمته «يوم الراديو» تكريما للمخترع الروسي .

وزعمت الشيوعية أن «أديسون» الأمريكي لم يهتد إلى الكهرباء على هدى تجاربه ، بل سبقه العالم الروسي «لويجين» فقد أضاء أول مصباح بالكهرباء قبل أديسون بست سنين ، ولكن الرأسمالية التي تسرق العمال سرقت مفخرة لويجين ومنحته الأديسون .

وزعمت الشيوعية أن علماء روسيا سبقوا العالم إلى كل اختراع كبير أو كشف علمي جديد ، فالعالم الفرنسي «لافوازييه» الذي نسب إليه وضع القانون الخاص بتركيب الأجسام ليس هو واضعه ، بل واضعه الحقيقي هو العالم الروسي «ميشيل لومونوسوف» .

وزعمت أن العلماء الروس اخترعوا التلغراف قبل «مورس» وتسيير القاطرة البخارية قبل «ستيفنسن» وقانون الجاذبية قبل «إسحاق نيوتن» ونظرية «أن الجاذبية» قبل العلامة الهندي «بوز» .

وهكذا زعمت الشيوعية أن كل اختراع كبير روسي الأصل سطا عليه لصوص العلماء من الأجانب وادعوه .

ولم يقف التعصب إلى هذا الحد ، بل تجاوزه إلى أبعد منه ، فالشيوعية تنهم كل من ينسب كشافا علميا أو اختراعا إلى صاحبه غير الروسي بالخيانة والكفر بالوطنية ، بل إذا ذكر عالم روسي حقيقة علمية لا ترضي الشيوعيين يعاقب منها بتهمة الخيانة لمبادئ ماركس .

كتب العالم الروسي «جيرات» مقالا نقد فيه الأستاذ «ليسنكو» العالم الروسي المختص في علم الكائنات، وذكر اسم عالم غربي نسب إليه فضلا علميا في علم الكائنات رأت فيه الشيوعية أن جيرات آثر الغرب دون زميله المواطن ليسنكو فاتهمته بأنه خائن ، وطلب الشيوعيون مجازاته بأقصى العقوبات حتى لا يجرؤ غيره على أن يتأسى بهذا الخائن .

حتى العلم الذي لا وطن له صبغته الشيوعية بالون الأحمر .

هيئة الشيوعية هي مجرم الإنسانية :

وعدت الشيوعية العمال بأنها ستدخلهم في الجنة التي أعدتها لهم ، تلك الجنة مهيئة لطبقة العمال وحدها ، لأنها لن تسمح لغير هذه الطبقة أن تدخلها ، وبعد أن سيطرت على سدس الأرض وعشر سكانها صارت تلك الجنة جحيما يتلظى فيها العمال ، ولم تحقق وعدا من وعودها الكثيرة ، لأنها وعد الكاذب ، ولأن ما وعدت

به غير قابل للتطبيق مادام للانسان روح وكرامة .

وشيوعيو الشرق من عبيد الماركسية يزعمون أن الشيوعية جنة الأرض ، ويتشدقون بدعاوى يعلم الله والناس كذبها ، وما أظنهم يجرءون - إذا كان لهم عقل وخلق - أن يزعموا أن سادتهم في السكرملين - الذين لا يتجاوزون أصابع اليدين عدا - يحيمون حياة العمال ، ولا يستطيعون أن ينكروا أن سادتهم يعيشون أعظم من عيش القيصرية ، بل يفوقونهم بذخا ورفا ، وكبرياء وصلفا ، ويستعبدون ويجورون بحيث لا يوجد لظلمهم شبه في التاريخ كله .

بل لم يذكر التاريخ قط أن مستبدا ظلما صنع ماصنع ستالين أو أى أحد من زملاء هذا « الوحش » اللعين .

براهين من السكرملين :

كان اسم ستالين كافيا لأن يزلزل كيان أى أحد في روسيا ، بل كان يزلزل الأرض تحت قدمى أى قائد أو كبير ، وإذا أتيح لأحد أن يقابله فانه يشعر أنه يقابل جلادا غشوما ظلوما ، يقابله وهو يفتض من الجزع ، ويتخلع من الخوف .

ولا يظن أحد من عبيد الماركسية أنى ألقى القول إجازفا ، بل

اقدم هؤلاء السفلة المتبلشفين عن جهل أو عمية في البصيرة دليلا صادرا من الكرملين نفسه .

عرض في مصر فيلم روسي عنوانه « سقوط برلين » صنعه الكرملين ليظهر عظمة ستالين وبطش سلاحه وقوة جيشه وبأس جنوده ، ومن المناظر التي نقتبس منها الدليل للتاريخ أن رئيس مصانع الحديد والصلب في روسيا بذل من الجهود ما جعلها تنتج أضعاف ما كانت تنتج ، وظفر برضا الدولة ، فأفضل ستالين وسمح لهذا الرئيس أن يسمع برؤية وثنة المعبود أو الممقوت . ولما علم رئيس مصانع الحديد والصلب بأن ستالين شرفه وسمح له برؤيته ومصاحفته لم يفرح بل انتفض خوفا ، ولما ذهب إلى الكرملين وانظر في حقائقه الشاسعة وأشير له إلى ستالين تزلزل بنيانه وأخذ يقدم رجلا وبؤخر أخرى ، وخفت رأسه إلى الأرض فرعا ، ثم صاح في خوف وخور . حتى إذا استديره بدأ الانبساط على أساريه ، ولم يكن الانبساط فرحا باللقاء بل فرحا بالنجاة من ستالين .

وإن هذا التقييم وحده الذي صنعه الكرملين للدعاية يكفي للدلالة على نوع الحياة في فردوس الشيوعية .

لادين . فقد غرات الدعاية الروسية الجنود مالم يقولوا ، أو

حملتهم على أن يقولوا مالا يعتقدون ، فقد قالوا وهم في ميدان القتال :
لن نهزم مادام ستالين معنا ، سنتنصر لأن ستالين معنا ، وقد تكرر
هذا الهتاف غير مرة .

حدث هذا بعد أن سمح ستالين للرهبان وبعض المسلمين بأداء
شعارهم زلفى للحلفاء وسكان الأرض ممن يؤمنون بالله أو يؤمنون
بالمثل ، ولم ينجح الكرملين من سوء ما يعرض .

ورأينا أفلاما أخرجتها الدعاية الإنجليزية والدعاية الأمريكية
فلم نجد جنود الحلفاء يشتمون شتمهم سينتصرون مادام جورج أو
روزفلت معهم ، ولم يؤثر عن الألمان أنهم قتلوا في ميدان الحرب : لن
نهزم لأن هتلر معنا .

ثم لا أسرة ، فقد كانت عنبر العيال التي تتسع لعشرات الآلاف
مزحومة بهم يعيشون فيها عبثة "سوام" ، حتي الأهليات لم يرد بها
التسلية والتسرية والتثقيف ، بل كان من قبيل الدواء للمريض حتي
يصح ، وصحة المريض ليست بالغالية انمينة إلا لأنها تساعد على أن
يكون « متبججا للدولة » وبقرة حلبها الدولة وآلة تستخدمها الدولة .
ثم لاتخذ في ذلك نوردوس المكذوب الذي حشدت له الدعاية
الروسية كل مانيها من مال ومكر وأكاذيب لتظهره للناس إلا
قطعا وآلات وماكنات .

عبير مسفرونه

وإن أعجب فما عجبى إلا من هؤلاء العبيد المسخرين لخدمة الشيوعية من غير الروس ، وعلى الأخص في بعض بلدان العالم العربي ، أولئك العبيد الذين يتشدقون بالماركسية وما أعدت لأهلها من نعيم .

يكفى ليبيان فساد الماركسية أنها تمنع الخير وتدخر الشر للإنسانية وتخذم أنفاس من لا يدينون بها ، ولو كانوا عزلا من السلاح وبعيدين عن رغبة المقاومة والصراع ، وحسبها أنها سلبت نعمة أقوام وأمم وشعوب بحجة إعطائها للآخرين المستحقين ، وهي لا تعطيهم إلا الجوع والاستعباد والتعذيب .

إنهم - كما يزعمون - يريدون أن يخطموا الرأسمالية أيا كان نوعها ، يريدون أن يسلبوا الغني - ولو كان صالحا مصلحا - ماله ليعطوه العمال ، ويسلبوا القادر قدرته ليقدموها للعاجز المحروم ، ولذلك أقدم « العاطلون » واليائسون والسفلة لتأييدها واعتناقها والتبشير بها ، وهم إذ يصنعون ذلك مجبرون ، لأن أي دين أو حكومة - غير الماركسية - لا تقبل أن تقوم بعمل اللصوص وقطاع الطرق ، ولا تحمي الذؤبان والأشرار والخارجين على شرائع

الأخلاق والأديان .

إن قاعدة الشيوعية أن « من لا يعمل لا يأكل » ومع هذا نجد أن الشيوعيين أهل من خالفوها وكذبوها بأفعالهم ، فكارل ماركس مخترع الشيوعية وإبليسها الأول كان لا يعمل لكسب العيش ، بل كان غالة على أبيه وأمه ، ثم على أخته ، ثم على الاحتياال البغيض المرذول ، ولقد عاش بقية حياته على التسول والإحسان ، أو على ما كان يتصدق به عليه تلميذه وزميله فريدريك إنجلز .

ولم طبق مذهب كارل ماركس عليه لمات هو نفسه من الجوع لأنه لم يعمل .

وليس هذا القول من الخيال بل هو الواقع نفسه كما تذكره الوثائق والمصادر الشيوعية نفسها ، ويسخر أنذريه جيد في يومياته بعد رجوعه من روسيا فيقول : « إن ما أعجبه في روسيا إلغاؤها تلك الكلمة : بعرق جبينك تأكل خبزك » .

وإن أعجب مما عجبى إلا من هؤلاء العبيد المسخرين للشيوعية الذين يزعمون أن ما يقال ضد الشيوعية افتراء محض من أعدائها في المعسكر الغربي ، فإذا سألتهم : ومن أين لكم أنتم بالمعلومات التي تشددقون بها ؟ أعاش أحد منكم في هذا النعيم ، أم نزل عليكم الوحي

من سيدكم القابع في الكرمليين ، أجابوك جواباً لا يدل إلا على خلوهم من العقل والشعور .

وإذا كانت الشيوعية فردوساً أرضياً فلماذا يمنعون الناس من التمتع به ؟ ولماذا يأتون على غيرهم أن يشاركهم النعيم المقيم ، ولماذا يحيطون فردوسهم الذي لا وجود له بحصون تزدود عنها الرواد وتبعد عنها القاصدين ؟

أقل ما يقال إنها الأنانية القذرة الرعناء ، إذا صدق افتراؤهم عن الفردوس الوهمي .

إن عبيد الشيوعية يزعمون أن الحكومات هي التي تمنع أبناءها من الدخول إلى فردوس الشيوعية لئلا يروا النعيم المقيم فيثوروا على حكوماتهم . وهو اتهام كاتهام الشيوعيين للأخلاق والأديان والحقائق .

إن الحكومات لاتمنع أبناءها من الذهاب إلى روسيا ، وكثيراً ما أراد بعض الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين من زيارة الاتحاد السوفيتي فلم تعطهم سفاراته « تأشيرة الدخول » بحجج واهية كلها تتجمع في أن هؤلاء غير مرغوب فيهم ! كما أرادت بعثة من الجامع الأزهر السفر إلى روسيا لتفقد شؤون المسلمين فيها فلم يسمح للبعثة

الأزهرية ، لماذا ؟ لأجواب عندهم ، والجواب الصحيح أو السبب الصحيح لهذا المنع أن الشيوعيين يخافون على أنفسهم كما تخاف عصابة اللصوص أى شيخ غريب عنها ويخشون أن يرى الخدوعون غيرهم فتفتتح أعينهم .

وهؤلاء العبيد المسيخرون يعتقدون الشيوعية لا لأنها مذهب فاضل يريد أن يبنى مجتمعا فاضلا يقوم على أساس الفضيلة والخير ، لأن أيسر ما يضطرب في مجتمع الماركسيين ينقض دعواهم أنهم يريدون بناء مجتمع فاضل ، يعتقدون الشيوعية لأنهم يجدون فيها ما تستجيب له الغرائز الدنيا والحيوانية المردولة .

المجتمع الشيوعي

أى مجتمع هذا الذى يتشدد به الماركسيون ويزعمون أنه مجتمع فاضل كريم ثم لانجد فيه من علامات الفضل والكرم شيئا ، حتى العلاقات الإنسانية البدائية بين الأفراد بعضهم ببعض مفقودة ، لأن التعاطف والتواد والمحبة تحمل على فعل الخير والإحسان ، والشيوعية لا تؤمن بالمشاعر والعلاقات الإنسانية بل تحاربها ، وليس أدل على ذلك من محاربتها الأسرة ، والشيوعية تكفر بالقيم والمعاني وتؤمن بالمادة ، وتنظر إلى المشاعر الطيبة نظرتها إلى « الزائدة » يجب أن

تستأصل ، فاستأصلوا كل روابط الإنسانية وبنوا علاقاتهم على المقايضة والإنتاج والمادة .

أمن الحق أن يتركوا فرداً ظالماً يتمادى في غوايته وظلمه ؟

أمن العدل أن يسيطر فرد موصوف من زملائه وشر كائه بالإجرام والطغيان على مقدرات أمة تزيد على مائتي مليون سيطرة وصفها أنصاره وعبَّاده بأنها كانت مبنية على القتل والفتك والتعذيب ؟

أمن العدل الاجتماعي ألا يباح العيش للعاجز إذا كان ميئوساً من قدرته أو المريض غير المأمول شفاؤه ؟

إن « التامين الاجتماعي » مفقود في بلاد البلاشفة ، ليس فيها التامين ضد الخوف ، فالناس كلهم خائف حق من بيدهم الحكم والسلطان ، وليس فيها التامين ضد الجوع ، والمريض الميئوس من شفاؤه ، والعاجز عن الكسب لهلة من العلل لا يطيقان العمل ، وماداما لا يعملان فلاحق لهما في العيش ، لأن قاعدة الماركسية بنيت على أن « من لا يعمل لا يأكل » .

فاذا زعموا أن العاجز الذي لا يطيق العمل مضمون له العيش فقد نقضوا هم القاعدة ، وأخرجوا عنها بشواذ تضعضع القاعدة .

أما الفضيلة فلا تجد لها مكانا في أرض مخضبة بدماء الأبرياء ،
في أرض تقضى على الزوجية وتبيع الحرام ، وتشجع المنكر ،
وتضمر الشر للعالمين ، وتزرع الرذيلة ،

الأسرة والانسانية

إن رسالة إنجلز عن الأسرة هجوم عليها لأنه يعتبرها مدعاة
للتهاكك على الادخار والاكتثار ، ويتبعهما قلة التداول للمذخور
والمكنوز ، ونظام الأسرة يبعث على الشعور بالحب في حدود ضيقة ،
وبالقضاء على هذا النظام يقضى على هذه النقائص والدوافع التي
لا تتفق مع الكفاح والعمل ، وعندما يقضى على نظام الأسرة يحل محله
حب عام بعيد الحدود ، فحب الأسرة المكونة من عشرة أفراد - مثلا -
هو حب ضيق الحدود ، وعندما يقضى على هذا الحب تبعا للقضاء
على نظام الأسرة فإنه يحل محله حب الملايين بعضهم بعضا ، ونظام
الأسرة يقوم على الميراث ، ميراث الأخلاق والصفات بجانب ميراث
المال والعقار ، وبالقضاء عليه يقضي على توريث ما قبح من الصفات
أو اعتل من الصحة ، ويصبح الموروث من المادة دولة بين الناس
ومنفعة للجميع لأنه يكون ملكا للدولة .

إن إنجلز تلميذ ماركس وصفه قوض في رسالته نظام الأسرة

وهدم قواعدها ليعتاح للشيوعية أن تقضى على الصفات الكريمة التي تنشأ من الرباط « العائلي » ، وتموت صفات الخير والرحمة والبر والمعروف ، وتهالك الفضائل التي تنبثق من نظام الأسرة فيسهل حينئذ على دعاة الهدم والتخريب أن يخيلوا الآدميين إلى قطعان من الخيوان يسهل حشدها في صعيد وتوجيهها الوجهة التي يريدونها المخربون الهدامون . أو تخيلهم إلى « مكنة » أو آلة جامعة .

وتبع انهيار محراب الخير انهيار صرح التضحية ، فلم يعد في روسيا عمل خير ، لأنه لا مجال للإحسان في هذه الغاية السوداء ، ولا تحل من يقبل منك الإحسان لا لأنه غني قادر ، ولا لأن من تحسن إليه منقود ، إذ لا يعقل أن ينجي من بين مائتي مليون من هو أهل للإحسان .

إن الإحسان في بيئة الشيوعيين جريمة أشنع من جريمة السرقة في الأمم المتعدنية ، السطو والنهب في شريعة الشيوعية خلال بل واجب ، أما الإحسان فحرام . لقد اختفى الإحسان باختفاء المحسن والمحسن عليه على السواء ، لأن نتيجة كليهما إن علمت به الدولة الموت أو السجن .

قضت الشيوعية بالحديد والنار على المشاعر الانسانية الفاضلة ،

فلا تجد فيها محسنا يتبرع لعمل نافع ، أو أن قويا أسرع في عون
ضعيف أو أن جارا هب لنجدة جاره ، أو صديقا يحسن إلى صديقه
ويواسيه .

المنعم الزى هوى

إن أسس المجتمع الفاضل : الحق والعدل الاجتماعي والفضيلة
والخير ، فإين الحق في المجتمع الشيوعي ؟ أمن الحق أن يسيطر
ستالين على شعوب يستعبد كل من فيها شر استعداد . ويوجههم
شر توجيه ، ويجبرهم أن يؤلفوه ؟

لقد كان ستالين في هذا المجتمع الفاضل المزعوم أفضل من
يضمه وأعظم من يعيش فيه ، وأكر إنسان به وأكثرهم فضلا
وأحسنهم خلقا ، ووصفوه بأنه النموذج الأعلى للإنسان الكامل ،
ووصفوه بأنه المنعم المتفضل الذي لا يعمل إلا لخير الإنسانية
كلها .

هكذا صورته الدعاية الماركسية التي جعلت من ستالين رمزها
المتخير الأعلى ، ونبيها الأتمثل ، ومثلها الأرفع في كل شيء ، ثم
يهوى منها « الزمر » بحضنها شر خطيم ، وبدو المرفوع إلى أعلى
مراتب الإنسانية وحشا كنودا يعيش في الدركات السفلى .

من الذى هوى بهذا الرمز ؟ ومن الذى داس هذا الصنم المعبود ؟
إنهم عباده المخاضون الأقربون لا الأعداء الناقمون .

لقد أزرى بالصنم عباده أشنع زراية ، ومثلوا بجثته ورفاته
وآدميته وأعماله أبشع تمثيل ، لقد وصفوه بكل موبقة يندى لها
جبين البر والفاجر على السواء ، بل لم يتركوا موبقة إلا وذكروها
له واستدلوا عليها بالوثائق والمستندات ، بل جعلوا أعماله تتكلم
وتتحدث ونزعوا منه ملابسه فبدأ الشيطان على حقيقته .

لقد جردوه من المزايا كلها ، وكانوا مصيبين ، ولم يصيبوا إلا
في هذا ، لقد اعترف اللصوص على رؤس العصاة وأيدتهم
أعماله وأفعاله .

لم يكن من داسوا رب الشيوعية من المعسكر الغربى ، ولم يقل
فيه أحد ما قاله فيه عباده ، بل لم يبلغ كل ما قاله العالم في هذا المعبود
الكذاب عشر معشار ما قاله فيه عباده الأذنين الذين كشفوا عن خبيـ
سوءاته ومستور قذاراته وأبانوا وحشيته واستبداده .

أترى ماذا يقول عبيد الشيوعية المستخرون في معبودهم الذى
هوى وديس بالأقدام ؟ إنهم تذكروا لإلههم المعبود وانقادوا
لأربابهم الجدد ، وانتقلوا فجأة من التقديس والعبادة إلى التجديف

والكفر ، ولم يسألوا عن الأسباب ، ولم يطلبوا الدليل والبرهان من الهدامين الدائسين .

وهذا يكشف عن نفسية هؤلاء الاتباع من العبيد المسخرين .

إذا كان زملاء ستالين وشركاؤه يعترفون الآن بأنهم ما كانوا يستطيعون أن ينسوا بنت شقة أمامه ، وكانوا يخشون سطوته وبأسه ووحشيته وإجرامه ، وتركوا له الحرية المطلقة في العمل والتقتيل والتخريب خوفا على أنفسهم أن يهلكها هذا الطاغية اللعين ، وأجبروا على أن يطيعوه ويعينوه ، فأين الحرية التي يتشدقون بها ؟

أنازيب

ومع هذا يظن الماركسيون أنهم انتهوا الى العلم الصحيح بكل حقائق الأرض والسماء ، ويسدقون كارل ماركس عندما زعم لهم أنه وضع نظاما للعالم كله ، وزعم أن الإنسانية بأسرها ستقيد به كل التقييد ، ولن تحيد عنه قيد شعرة ، ولن يستطيع أحد أن يضيف إليه جديدا لأنه نظام يحوى كل ما يحتاج إليه العالم من دساتير وقوانين وشريعة لا تختلف ولو بعد آلاف السنين ،

ولن يقبل التبدل والتغير لأنه نظام معصوم من النقص مبرأ من الخلل مطلق الكمال .

وما أدرى كيف يجوز على العقول هذه الزهات ويقبلها بعض الناس باسم العلم ؟ وكيف يطمسونه بصارمهم ويبلغون عقولهم عندما يتبلشفون ؟ لا تفسير ولا جواب إلا أن الشيوعية تفسر قوى يباد ويعطل ملكة التفكير والإدراك التميز، فلا يميز من يعتقد بأنها تتسميح والزائف والحق ، الباطل والظاهر ، الخيل والصدق ، الكذب ، ولهذا تقل عقولهم أن ماركس أماناً بالإنسانية كلها وبكل ما ينشأ في الأرض من مجتمعات . وأحاديثها الحق ينتهي . ويصدقون أن ماركس وضع نظاماً يسر العالم بما فيه ، ومن فيه ، بل تدور هذا النظام أو يتبدل أو يغيره نقص أو خلل مهما كان الأمر .

وما يزان عبيد الشيوعية يصدقون هذه الأكاذيب ويقبلون هذه الأضاليل والأوهام في حين أن الواقع المادي المشهود أظهر كذب ماركس وسماذيره ، فنظامه الذي زعم أنه مطلق الكمال لا يقبل التحويل أو التبدل قد تغير على يد عباده وأتباعه .

زعم ماركس في رسائله وكتابه التي حوت نظامه ومبادئه وإنجيله وتكهناته أن الأسرة ستتحجى ، والزوجية ستفصم ،

والمملكية ستزول ، والوطنية ستموت ، والقومية ستفنى ، والعالم سيبسود وبعيش عيشة ترف ورخاء ، والشيوعية ستصبح دين الإنسانية كلها .

زعم ماركس كل هذا وأكثر منه فما كان نصيب تكهناته من الوقوع والتحقق ؟

محت الشيوعية الأسرة في روسيا ، وجعلت كل مولود ولد الدولة ، وكل امرأة وسيلة إنتاج للدولة ، وكل رجل رقماً في الدولة ، ولم تستضع هذه « النبوءة » التي بشر بها كارل ماركس أن تعيش إلا سنوات قليلة ثم ماتت ، لأن الدولة اعترفت بالأسرة ، وبذلك كذب السكائن الشيوعى الضال المضل ، فقد قامت الأسرة من جديد في روسيا ، ولم تكن قد ماتت ولكن الإرهاب الإجرائى هو الذى خنقها وأخفاها زمناً ثم غلبت قوة الواقع كهانة ماركس فماتت بعد أن ظهر كذبها واستحالة وقوعها بحيث يرضى الناس .

كثيرة القضاء على الملكية

وقضت الشيوعية على الملكية لأن ماركس قرر أن الملكية الفردية مصدر النزاع فى المجتمع فنادى «لغنها» ، فبدأ سيطرت الشيوعية ألغتها وتبع ذلك القضاء على الميراث ، وقبضت الدولة على

مصادر الثروة وموارد الإنتاج والمصانع والمناجم والمتاجر والمزارع والعقار . وفي المادة الخامسة من الدستور السوفيتي : « الملكية الفردية لا وجود لها ، والملكية المباحة هي الملكية الاشتراكية ، وهي إما أن تكون للدولة فتكون الثروة للشعب عامة ، وإما أن تكون جماعية أو تعاونية » .

ثم اعترفت الشيوعية بالملكية تحت ستار جمعيات التعاون في امتلاك الأرض ، وأباحات ملكية الفرد بعد أن حرموها عليه ، فأصبح في وسعه أن يملك الفرد ما يحصل عليه من دخل من عمله ، ويملك أثاث منزله ، وأن يملك الفلاح الأرض على سبيل الإعارة الدائمة على أن تستغل على أساس تعاوني ، وبذلك كذبت كهانة ماركس .

كثرة انقضاء على الزوجية

أما الزوجية فكانت عقداً بين رجل وأنثى يستطيع كل منها فسخه وفصله عند ما يريد ، ولا شأن لأحدهما بالجنين أو الولد لأن الدولة تتبناه وتكفله .

ولا يحمي هذا العقد قيد من خلق أو فضيلة ، وهو يشبه عقد

العامل مع المعمل ، بل إن العقد الذى يجمع بين رجل وأنتى أهون من العقد بين العامل والمعمل ، لأن لهذا قيوداً وذلك لا قيود له . ثم كذبت الدولة كهانة معبودها كارل ماركس فأباحت الزواج واعترفت بالأمومة والأبوة .

كزبة : الوطنية والقومية

أما الوطنية والقومية فقد كذبت الحرب الثانية نبوءة كارل ماركس عنها ، وكلن أول المكذبين أتباعه المخلصين وعباده الأوفياء فقد نادى ستالين وعصابة لكرملين بالوطنية والقومية ، وآثروا بها نخوة الجيش الروس ، واعترفوا بالقومية والوطنية .

كزبة « رفاهية العامل »

أما تكهن ماركس عن العامل وسيادته فقد كذبت في حياته وبعد هلاكه على أيدي أنصاره ومريديه قبل تكذيبها على أيدي خصومه ومخالفية ، فلم يتسلم العامل زمام الحكم ، ولم يرتفع مستواه في روسيا ، بل استحال العامل من الإنسانية إلى الحيوانية ، ولم يعد للحما ودما ، بل جزء من الآلة التى أوجدتها ثم هبدها وابتهل إليها وأصبح مستخرا لخدمتها ، وعندما يتنكر العامل للآلة أولا

يصلى لها يحكم عليه بالموت أو السجن ، لأن شريعة الشيوعية الباطلة الهدامة لا نعرف إلا بالآلة .

كزبة : الشيوعية دين المستقبل

أما تكهن ماركس أن الشيوعية ستصبح دين الإنسانية كلها فقد كذبه فيه الواقع أشنع تكذيب ، وها هي الشيوعية بكل وسائلها الإجرامية لم تستطع أن تجذب إنساناً واحداً ذا خلق في العالم كله اجتذاباً يقوم على الحق الصراح ، ولم تستهو - البتة - عالماً أو فاضلاً أو ذا دين وأمانة إلا عن طريق الخداع وتزييف الحقائق وقلب الأوضاع والغش والكذب ، وطريق الخداع قصير فقد انكشفت الشيوعية على حقيقتها أمام الواعين الفاهمين الذين اتخذوا بها مثل أندريه جيد فكفروا بها وحاربوها .

وكما أمعنت الشيوعية في إخفاء بذورها وتزيين شرورها زاد العالم في حربها ومقاومتها كما تقاوم الأوبئة والمجرمون .

بل إن الشيوعيين أنفسهم تحللوا من كثير من نظم الماركسية ومبادئها وخرجوا عليها لأن أقطابها عرفوا بالغريزة قبل العقل أن سواء اتهم هذه يجب أن يستروها ضماناً لاستمرار حكمهم وسلطانهم وخديعة لمن يهرم بريق دعاوهم الكاذبة .

ومن مفتريات الشيوعية الفاضحة المفضوحة أنهم يزعمون أن العالم غير الشيوعي لا يعرف الحرية لأنه أحاط كل شيء بسياج ووثقه بقيد وأثقله بأغلال ، أحاط الرزق بسياج الإحراز وأثقله بقيود التملك ، وأحاط الأموال بالتسداول وقيدها بالوقف والميراث والإحسان ، وأحاط المرأة بالعفة ووثقها بقيد الزوجية ، وأحاط النفس الإنسانية بسياج العقيدة والخلق وقيدها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله ، أما الشيوعية فترغم في نحر وازدهاء أنها أطلقت الحرية ، وأهلت العمل ، وجعلت كل ممنوع مباحا ، وكل حرز مشاعا ، وحلت قيود الزوجية ، وفصمت عرى الملكية ، وحطمت أغلال الوطنية ، وكسرت رقة القومية وقضت على الفردية والشخصية ، فلا أفراد في بيئة الشيوعية بل جماعة ، ولا شخصية أفراد بل للدولة . الدولة هي الأسرة وهي كل شيء ، هي الخالق الرازق المدبر المحيي المميت - والعياذ بالله - ولا حاجة إلي أن تكون في الدولة شخصيات بعدد سكانها ، بل الجميع فرد ضخم ، ويجب أن يحى الفرد في الجماعة ، وتموت المعارضة ، ولا تكون غير الطاعة . الحاكم لا يخطئ ، والمحكوم لا يعترض ، وحرام على الفرد أن يملك فيتكنه علي ملكه في العيش ويستغني به عن السعن والعمل مهما كان عذره ، لأن من لا يعمل لا يأكل ، وحرام على الأبوين أن يكون لهما أولاد يستنفدون جهودهما وتسيطر

عليهما الأمانة فلا يعملان إلا لهم وخدمهم، ويستغلان بهم عن العمل للدولة، وحرام على الزوج أن تبقى في بيتها تدبر أمره وأمر زوجها وأبنائها، ولو استطاعت أن تتركهم للمطعم العام يتناولون فيه الطعام كما تتناولوه هي نفسها منه أحياناً لتركهم، وليس بيتها إلا مضجعاً تأوى إليه عند النوم، لأن المصنع أو الإدارة خالية من المضاجع، وتدير الأولاد من حق الدولة لا الوالدين، الدولة تصهرهم في بؤنقتها وتصبهم في القوالب المعدة لهم.

إنهم يولدون وينشأون ولا يعرفون الله إلا في الطائفة، والوالدين في الدولة، والإنسانية في العدوان، والحرية في القوضى، والفضيلة في تلبية نداء الجسد والانقياد للغريزة حتى ينتج للدولة ولد.

حرام على الأولاد أن يرثوا أبويهم الصفات والمزايا، وحرام عليهم أن يرثوا ما يترك من مال وعقار، قضوا على ميراث الصفات بالغاء الزوجية، وعلى ميراث الأموال بتحطيم الملكية، وجعلت الشيوعية أن الصفات تورث وإن لم يعرف الولد أبويه، والمزايا تنتقل من جيل إلى جيل ولو لم يفتن الوارث والموروث منه.

وموجز القول في الشيوعية والشيوعيين : أن الشيوعية كما نعرفها نحن أهل البلاد المقدسة وكل إنسان عاقل : أشنع ما عرف

من أنواع الكفر والأمة ، والشيوعيين كفرة لثام ، بل هم شر الكفرة ، وكل من تبعهم ممن يتظاهرون بالاسلام مرتد حلال الدم واجب قتله ، وكل من أطرى الشيوعية وجب أن يستتاب وإلا قُتِل كفرا .

حمى الله الانسانية من الشيوعية ورعى الإنسان من هذا الشيطان الرجيم . آمين .

المبيرون والمفروغون

لم تقم الشيوعية لانقاذ الطبقة العاملة ، ولم تنتشر في روسيا نفسها بالتشويق والاختيار والإغراء والمنطق ، ولم تكن الحرية مكفولة حتى يستطيع الناس أن يقولوا رأيهم فيها ، بل ثبتت قواعدها بالعنف والقوة والحرب التي شنتها على أفراد الشعب الروسي الأعزل ، وكانت نذيجتها قتل ملايين ونفى ملايين وتشريد ملايين .

لقد أكره الناس في الاتحاد السوفيتي على اعتناق الشيوعية إكراها ، وخشيت أن يأتي الانقاذ من الأمم الأخرى وتنشب بينها وبينها حرب لا ترجحها فأطلقت في العالم الأكذوبة الضخمة التي زعمت فيها أن لشيوعية « المنقذ الأكبر » للطبقات العاملة والفقراء والمحرومين

و المحتاجين و المقلقين على حاضرهم و مستقبلهم ، و أنها قامت لاغنائهم و إيساعادهم ، و أراد من إطلاق أكاذيبها إثارة الطبقات بعضها على بعض لتشتغل كل دولة بمشاكلها الداخلية التي تشعل الشيوعية نيرانها ، فلا تستطيع غزو المذهب الهدام في عقر داره لأنها تكون مشغولة عنها بالأمن الداخلي .

ولقيت دعوة الشيوعيين بعض الأنصار الأقوياء من أقطاب الفكرة في الغرب ، لأنهم اتخذوا بوعودها وأقوالها و انقلبوا شيوعيين ذوى نفوذ في الرأى وفي الصحافة وفي المجتمع ، وبشروا بها ، و دافعوا عنها ، و سبحوا بحمدها ليل نهار ، واعتبروها دنيا جديداً .

لخصه الجواب وسبب ركونهم إلى الشيوعية أن الحضارة الغربية لم تطفى ظمأ النفوس بعد الحرب الأولى ، وزاد السلام الذي أعقبها قلق النفوس الصابية إلى السلام الحقيقي المأمول ، والمادة قضت على الأشواق الإنسانية وأشعلت الظمأ الروحي إشعالاً ، فظنوا سراب الشيوعية ماء .

لم يجدوا في الحضارة الغربية صونهم إلى السلام والسعادة فظنوا أن الشيوعية تتيحهم وتضمنهم للناس فمالوا إليها ،
إن شعورهم بالظلم الاجتماعي في الغرب ، والرغبة في التخلص منه

وفي الانتقال إلى عالم أفضل ، والصبوة إلى السكال حملت أولئك المفكرين الأعلام أن ينميوا إلى الشيوعية رجاء أن يجدوا فيها ما كان الشيوعيون يعدون به العالم من النعيم والسعادة والعدالة الاجتماعية.

ولم يظن هؤلاء العظماء من بني البشر أن ما يروونه ليس إلا سرايا خادعا ، ومن السهل أن ينخدع الطامى بالسراب فيطيل السير حتى تسكل قدماه ، وقد أطال هؤلاء الخالمون السير ، ولم يعرفوا أن ما ظنوه سرايا بارداً سائغاً لم يكن إلا سرايا ووهما وخادعا .

إن هؤلاء المخدوعين صدقوا بالشيوعية تصديقا أعمى ، وبصوره أحد أقطابهم وهو أندريه جيد أحد أعظم كتاب فرنسا ومن طليعة الكتاب في العالم ، يقول جيد — وهو رأى كل المخدوعين في الشيوعية الذي أفاقوا من غفلتهم — : « إن إيماني بالشيوعية يشبه الإيمان بدين . وإنها البشرية بالإنجاة ، ولست أختار إلا لمن دخل الشيوعية عن طريق الحب ، وأرفع صوتي عالياً في العالم بعطفي على الاتحاد السوفيتي » .

هكذا كانوا ... ولكنهم ندموا وتابوا ، ويمثل توبتهم وندمهم ما كتبه أندريه جيد نفسه الذي يقول : « لقد كنت في بداية الأمر ساذجا وخطأ ، ومن السداد أن أعترف بخطئي لأنني مسئول

عن أولئك الذين قد بضلهم رأيي في بلادى وبصور لهم الباطل في صورة الحق ، ولا يصح أن يمنعنى زهو من الاعتراف بالخطأ أو تصدنى كبرياء نفسى ، فالحق أهم كثيراً من نفسى ومن كبريائى ومن الاتحاد السوفيتى نفسه مادامت البشرية فى خطأ ، وكان خطئى أننى صدقت الأكاذيب التى ظهرت فى الكتب المفقعة بالمديح ، وأعان على خداعى وتضليلى أن الحقائق المدوية عن الشيوعية كانت تروى فى أسلوب الحقد ، والأكاذيب فى براعة وحب .

وقال جيد : « لا يمكن أن تنحدر الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذى تنحدر إليه الشيوعية ولا يمكن أن تصل الدناءة والخسة بالإنسانية إلى الحد الذى تصل إليه فى الشيوعية ، وإنى أحذر الطبقات السكادحة وأحذر كل الناس أن يتخذوا بالشيوعية ولبدر كوا أنها أسفل ما عرف فى تاريخ الإنسانية الطويل من مذاهب الهدم والتخريب . »

واندرية جيد فوق مظنة التعصب والحقد ، وكان الشيوعيون يقدسونه ، وعند ما زار روسيا احتفل به ستالين نفسه والكرملين نفسه وأقطاب الحزب أنفسهم .

ومن أمثال اندريه جيد كثير كلهم انقلبوا على الشيوعية

وارتدوا عنها وتقرأ منها عند ما رأوها على حقيقةها، ومن هؤلاء: «ريتشارد رايت» الكاتب الزنجي الكبير المناضل في أمريكا، «ولويس فيشر» أحد أساطين المراسلين البريطانيين والأمريكيين المشهود له بالنزاهة والنبيل، و«أرثر كوستلر»، وهو مجري، وقد انضم إلى الحزب الشيوعي في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣١ م ولبت فيه حتى ربيع سنة ١٩٣٨ م حيث خرج على الشيوعية ناقماً مندداً بها، وقد أودى «كوستلر» وسجن وعذب من أجل الشيوعية التي كفر بها. عندما انتهى إلى حقيقةها البشعة، «وإجناسيو سيلوني» الايطالي، وقد أسهم في تأسيس الحزب الشيوعي في إيطاليا، وتعرض بسبب اعتناقه الشيوعية للنفي والسجن، وتولى بعض الحركات العالمية، ثم لما اهتدى إلى حقيقة الشيوعية حاربها..

ومن هؤلاء المخدوعين: «إبنيدستاركي» الارلندية، وكان أبوها «ستاركي» من كبار العلماء الخصبين في الفلسفة الاغريقية القديمة ومندوباً سامياً للتعليم في أيرلندا، أما هي فقد تلقت علومها في كليات انكلترا وفرنسا، وأحرزت إجازة الامتياز من الدرجة الأولى من أكسفورد في دراسة الأدب الفرنسي، ونالت الدكتوراه من جامعة باريس ودكتوراه في الآداب من أكسفورد، ومنحت وسام فرقة الشرف «الليجون دونير» لإسهامها في الآداب الفرنسية

ومنذ بضع سنين كانت تشغل منصب «محاضرة» في الأدب الفرنسي بجامعة اكسفورد، و«زميل» في كلية «سومرفيل» .

وكانت من أشد الكتاب تحمسا للشيوعية حتى انكشف لها أمرها الواضح فلعنتها .

«وستيفن سبندر» شاعر انكليزي وناقد أدبي ، وأبوه الكاتب الحر المعروف «إدوارد هارولد سبندر» — وهو الآن يجمع أشعاره وقصائده ليطلبها في ديوان — وقد انضم إلى الحزب الشيوعي مخلصاً لمبادئ ماركس ولينين ، ولكنه سرعان ماخرج عليها ساخطاً مشمئزاً منها .

«وريتشارد كروسمان» النائب البريطاني، وكان مبرزا في الفلسفة والأدب ، وظل في اكسفورد يدرس فلسفة أفلاطون والعلوم السياسية ثمانية أعوام ، آمن بالشيوعية ثم لما عرف حقيقتها حاربها حرباً لا هوادة فيها .

وغيرهم كثير كلهم ارتدوا عن الشيوعية حينما وقفوا على حقيقتها وأصبحوا من أشد خصومها الألداء .

وليس بين من استهزئتهم الشيوعية أو اجتنبوا إليها — باستثناء بعض المخدوعين — عالم فذ ، أو أديب مبدع ، أو فيلسوف كبير ، أو مفكر

عظيم برغم ما يزعم الماركسيون أن مذهبهم هو « المذهب العلمى » وهو المذهب الذى يفسر التاريخ تفسيراً علمياً ، وهو المذهب الذى يقوم على الحرية والعدالة والمساواة . إلى آخر هذه المفتريات التى تدجج بها الشيوعية .

ليس بين من استوتهم الشيوعية أحد من هؤلاء العلية فى العلم والفكر والفن ، بل كل أنصارها والمستجيبين لها والمجذوبين إليها يمتازون بضحوكة الفكر وفسولة الرأى وضعف العقيدة وخور العزيمة وانفجار اليأس والقنوط فى نفسه والنقمة من الناس والتبرم بالواقع والحياة . لا لأنه أكبر من الحياة وأعظم من الناس ، بل لأن أغلاله من العبودية والرق والدناءات وفقدانه الصفات الإنسانية لا تمكنه من السمو فينقم على الأعلياء حتى يهبط بهم إلى الأغوار التى يحيا فيها ، ولأنه لا يستطيع عرض سوماته والمباهسة بالذائل والتفاخر بالكفر إلا فى ظل الماركسية ، فهو يعتنقها لأنها شريعة المتكررات .

وما سمعت بشيوعى أو قرأت عنه أو رأيت إلا وجدته فاقده الكرامة الإنسانية والرجولة ، ويعيش حالة على غيره ، ويتمرغ فى « البطالة » والتشرد ، ويضمم الشر لكل برى نظيف من خلق الله . أرشد واما تنكشف له الحقائق ، أرغرا ، أو ممن أضله الله على علم .

الخاتمة

وختم القول في الشيوعية أنها مذهب لا يصلح للتصدير من روسيا لأنه غير معقول أن المذهب الذي يخفق في بلده ولا ينتج إلا بالارهاب والقوة ، يصلح للتعامل في البلدان الأخرى التي تدين بالمثل والفضائل والأديان .

إن الشيوعية مذهب لا يصلح للسيادة والحكم لأنه قائم على الخقد والكراهية وإثارة الفتن والبغضاء بين الناس جميعاً ، وفيما سبق من هذه الكلمات الدليل كل الدليل مما اقتبسناه من أقوال أئمتنا وأتباعها وأفظأها على أن الشيوعية - لكي تسود - يجب أن تهدم وتدمر ما لا يتفق مع باطلها وشناعتها .

وكيف يصلح مذهب ينكر وجود الله ويتهم الأديان ويحارب المؤمنين ويقول في استخفاف وكبرياء : لا إله إلا المادة ، أما غيرها فباطل وعدم .

ويكفي لمحاربة مذهب من المذاهب أن ينكر أى أمر من أمور الغيب مما يؤمن به الذين يدينون بأحد الأديان السماوية ، فإذا كان الإنكار منصفاً على الخالق وعلى البعث وعلى الرسل وعلى كل عقيدة

صحيحة وجب أن يمقت ويحارب بكل مافي وسع البشر .

وإذا صحب هذا الإنكار هدم المثل التي يعرفها غير المؤمنين
المتدينين وجب أن يحارب حرصاً على المجتمع الذي يدين بالمثل
ويجعل للقيم الإنسانية اعتباراً أيما اعتبار .

وإذا كان هذا المذهب يقضى على الحرية الشخصية قضاء تاماً
ليفنيها بما تسميه دولة أو مجتمعاً خالياً من الطبقات أو جماعة كبيرة
واحدة لا تعدد لخصائص أجزائها فإن من الطبيعي أن يكون
مذهباً لا نجد لها متسعاً بين فصائل الحيوان ، فكيف إذا أريد
تعميمه بين الآدميين ؟

يجب حينئذ أن يتكفل البشر ضد هذه القوة الشريرة .

وإذا عرف القارئ بما مر به أن أمن الشيوعية كامن في إخافة
الآخرين ، وأن الشيوعية هي التي تهدد السلام العالمي وتهدد أمن
الشعوب فرادى وجماعات ، وأنها استبدلت بالراسمالية أفضع أنواعها
وشرها ، واستباححت لنفسها كل وسيلة لا يرضى عنها « الإنسان »
فإن من الطبيعي أن يجتمع كلمة الأمم بل الإنسانية كلها وتتحد
جهودها للقضاء على هذا الشر الذي لم تر الأرض مثله في ماضيها
ولن تشهده في مستقبل أيامها .

١٠٥
١٠٥

ويكفي أن الشيوعيين أنفسهم ابتعدوا عن قواعد الماركسية في كثير، وإن كان أساسها مازال قائماً .

إن أساسها إنكار الخالق وهذا مازال كما كان وكما رأى ماركس وإنجلز ولينين وغيرهم .

وبشاء الله أن يظهر كذب دعاوى الماركسيين إذ زعموا أن النظام الذي وضعه ماركس لن يتغير ، وزعموا أنه باق أبداً الدهر لا يلحقه تغيير ولا تبديل .

زعموا - هذا وما زلوا يزعمون - إلا أن الله أظهر كذب دعاوهم وبطلان تكهناتهم ، فلم تتحقق دعوى واحدة إلا لتقوم الأدلة على كذبها ، ولولا تحققها لما ظهرت علها وسقمها ، ولم يتحقق تكهن واحد إلا ليعقبه تكذيبه من الواقع ومن المادة التي يؤمن بها الماركسيون .

لقد لحق التبديل والتغيير كل قواعد المذهب وأسسها ، فالأسرة قامت من جديد لأنروا بطها كانت أقوى من أن تنقسم تحت ضغط الإرهاب والتقتيل ، والملكية اعترفت بها وإن كان تحت ستار من التضليل الذي يتفق مع حقيقة هذا المذهب الهدام .

واعترفوا بالوطنية والقومية وبلغت بهم الوطنية العمياء والقومية

الخرقاء حد الهوس والجنون فأقاموا « التصعب الجنسي » على شر ما تقام عليه العصبيات .

ورفع النقد الأدبي رأسه بعد أن قطعه أكثر من أربعين عاماً ، فصارت الصحف الروسية تنشر النقد ، ولكن ليس للأداة الحكومية وجهاز الحكم ومن يدهم مقادير البلاد ، ومع هذا فهو بشري خير ، لأن أحداً من النقاد ما كان يجرؤ أن ينقد أثراً فنياً إلا اتهم بالخروج على المذهب وعوقب شر عقاب .

كما أن النقد العلمي كان حراماً ، ويكفي أن أى نقد علمي لرأى عالم شيوعي في مجال العلوم كان كافياً لأن يقود صاحبه إلى الجحيم . بل كان تقرير الحقائق العلمية « جريمة » فإذا قال عالم : إن مار كوني مخترع اللاسلكي أجرم في حق الوطن أو المذهب .

أما الآن فقد خففوا من « الضغط » قليلاً ، وما أظن مرد هذا إلى العقل وابتغاء الخير ، بل إلى الخداع ، كما أباحت خداعاً قبل بضع سنين حرية العبادة ثم قضت على المتعبدين ، ولعل هذه طريقة شيوعية جديدة في الكشف عن الذين يحبون الحرية حتى تستأصلهم . ومهما كان الأمر فصير الشيوعية المحتوم معروف ، وإن يكون هذا المنصير إلا الفناء نهاية مذاهب الهدم والتخريب .

وستتبدل الشيوعية على يد أتباعها قبل أن تتغير على يد أعدائها
ثم تلقى المصراع الذي يسلمها إلى القبر فترتاح الانسانية من هذا
المذهب الباطل الهدام .

احمد عبد الغفور عطار

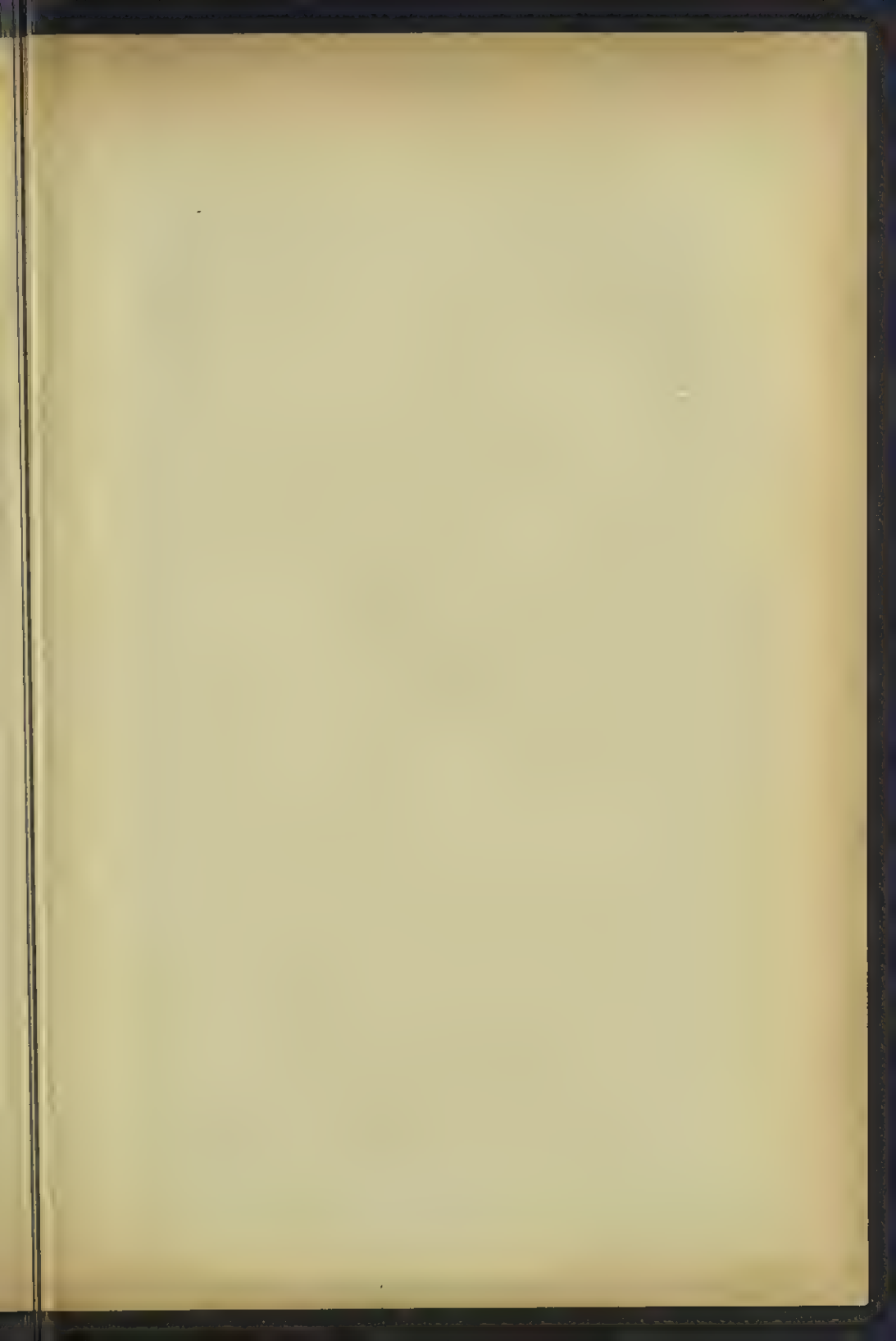
مكة



الاسلام والشيوعية

بقلم الأستاذ الكبير

عباس محمود العقاد



اطلع ماركس وإنجلز على بعض مراجع الانثروبولوجي - علم
الإنسان التي تكلم أصحابها عن عبادات القبائل الأولى لأنها يستدلان
بأحوال المجتمع في تلك القبائل على سبق النظام الشيوعي البدائي -
لنظام الملك الخاص والطبقة المستأثرة بوسائل الإنتاج ، ولكن
لا يظهر من كلامهما على الأديان الكبرى أنها توسعا في الاطلاع
عليها ، ولا يظهر من كلامهما العاجل عن الإسلام والمسلمين أنها
اطلعا على قواعد الإسلام كما يفهمها من يتصفح القرآن الكريم
والأحاديث النبوية ، فضلا عن أقوال الأئمة والحكماء الإسلاميين .

إننا مطالبون بافراد القول عن الإسلام في مذهب الشيوعيين ،
لأننا أحق من الكتاب الغرباء عنه بخلاء الشبهات التي يوردها
عليه من يجهلونه أو يسيئون النية في تصويره وتصويره ، ويزيد
على ذلك أن دراسة الشيوعية في آرائها عن الدين خاصة تستوجب
دراسة الدين الإسلامي قبل غيره من الأديان العالمية الكبرى ،
لأنه يتضمن وحده معظم الشواهد التي تدحض آراء الشيوعيين في
نشأة الدين ، ولأن الإسلام نظام اجتماعي إلى جانب عقائده وشعائره
الدينية ، ونظرة الشيوعيين إليه في دور تطبيق المذهب الشيوعي
على الخصوص كنظرتهم إلى مزاحم خطير يخشون منه أن ينازعهم
السلطان على عقول الأمم وضمائرهم في مسائل الأخلاق والمعاملات ،

مع ما يوحيه إلى العقول والضمائر من إيمان وثيق لاطاقة به
لفلسفة الحياة كما يبسطها الماديون .

* * *

فعلى صفحات وجه هذا الدين الخفيف - ولا إيغال في أعماقه
بعد - حجة ناهضة لا تنهض معها حجة للذين يزعمون أن الدين
خدر للشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ويلهيها بالآخرة عن
نعم الدنيا ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية أو يسرقوا
منه خلسة ما طاب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه .

فالإسلام يأبى للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا ويأمره أن
يأخذ من طيباتها ، ويبعد عليه هذا الأمر في آيات متعددة من
القرآن الكريم .

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ .

﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالا طيبا﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا
لكم من الأرض﴾ .

وليس من الإسلام أن يتجرد المسلم من زينة الدنيا ليقبل على الآخرة ، بل هو مأمور بأن يأخذ نصيبه من الزينة وهو بين يدي الله ، وأن يعد زينة القوة من نعمه التي يشكره عليها .

﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ .

﴿ والخیل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ .

ولم يخطر لعدو من أعداء الإسلام أن يتهمه بتحسين الجبن والاستكانة لأتباعه ، بل خطر لهم أن يصفوه بنقيض ذلك ويبالغوا فيما يصفوه فيقولوا عنه إنه دين السيف أو دين القتال .

ولا مبالغة في وصف الإسلام بهذه الصفة إلا أن يكون معناها عند قائلها أن الإسلام يعرف السيف ولا يعرف غيره ، أو أنه يضع السيف في غير موضعه ، ويبطل الحججة والبرهان جهلا بها حيث لا موضع للعلبة والإكراه .

وليس السيف من شريعة الإسلام بهذا المعنى ، فقد كان الإسلام مبتلى بسيوف أعدائه قبل أن يكون له سيف يذود به عن

نتسه ، ولم يأمر الإسلام قط بتجريد السيف عدوانا على أحد ، ولم يجرده قط في سبيل الدعوة إلا ليحارب به قوة تقاوم الدعوة بالسيف ، فحارب الدولة البيزنطية والدولة الفارسية لأن الخلاف بينهما لم يكن خلافا على الحجة والإقناع ، وفعل ذلك بعد إبراء الذمة من دعوة العواهل المتحكين في بيزنطة وفارس إلى الكلمة السواء ، فلما أعرضوا عنه وتوعدوه وحالوا بينه وبين أسماع الناس جرد عليهم السيف إذ لا محيص له من تجريده ، وكان الاحتكام إلى السيف هنا كآشرف ما يكون الاحتكام إليه في قضية من قضايا الدنيا أو الدين .

وأصدق ما يقال عن الإسلام في أمر السيف أنه يأمر بالسيف لأنه ينهى عن الجبن وينهى عن العدوان ، ولم يأمر به ليوضع في غير موضعه أينما كان .

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾ .

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

﴿ وما لكم لانقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ .

ومقاتلة البغى واجبة على المسلم كلما أوجبتها الضرورة في صد

العدوان من الآخر جانب عنه أو في صد العدوان بين طائفة وطائفة مثلها من المسلمين: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ .

والمسلم فيما دون الحرج الذي يوجب القتال لا يعنى من إصلاح السيئات التي يؤمر باجتنابها ، إذ هو مطالب بتقويمها إذا استطاع بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان . ومن الواجبات الاجتماعية المفروضة على الجماعة في الإسلام أن يكون منها آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ، يتولون عنها هذه الفريضة التي لا تنساها جماعة إنسانية إلا بادر إليها الفناء . ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ، وما هلكت الدول كما جاء في الكتاب الكريم إلا لأنهم ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ . وقد حق الهلاك على المستضعفين لأنهم يعتذرون بالضعف وهم قادرون على النجاة بأنفسهم من الخضوع للسادة المتحكين فيهم : ﴿ قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ .

ومها يتعنت صاحب الهوى في توجيه الكلمات ومعانيها فما هو

بقادر على أن يتخذ من أوامر الاسلام حجة لتسخير المجتمع في خدمة أصحاب الأموال أو القابضين على وسائل الإنتاج كما يقول المتسرون الماديون للأديان . فقد كان السادة في الجزيرة العربية يربحون من الربا المضاعف ومن احتكار التجارة فجاء الاسلام بتحريم هذا وذاك أشد التحريم ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاما أربعين يوما يريد به الغلاء لقد برىء من الله وبريء الله منه » .

ويمنع الاسلام الاحتياض بالمتاجرة بالأعيان سترا للربا الذي يحرمه ، وفي ذلك يقول عليه السلام : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل بدأ بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى » .

ومن الاحتكار الممنوع أن يجتمع المال في أيدي طبقة من الأمة « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ومن المحتكرين من يكتزون الذهب والفضة والقناطر المقنطرة ﴿ والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .

فإذا قيل عن هذه الأوامر والنواهي أنها خدمة لأصحاب الأموال
وتيسر لاستغلالهم أرزاق الفقراء فليس للكلام من معنى يقبله العقل
أو ياباه .

ولم يكن في سنة الإسلام أن يبيح لمنكر أن يقول كما قيل
كثيراً إن الشرائع إنما توضع للفقراء ولا تسرى على الأغنياء . فقد
كانت التفرقة بين الناس في الحدود أشد ما حظره النبي وحظر منه قومه ،
وكان ممن وجب عليهم الحد في حياته عليه السلام سيدة من أسرة
مخزومية فشفع لها عنده أسامة بن زيد فزجره وقام في الناس خطيباً
فقال : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف
تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة
بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

* * *

ولنا — بعد — أن نمتد بأطراف البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها
الإسلام إلى أقصى تخوم الجزيرة العربية ، فلانرى في هذه البيئة
الكبرى حجة لمن يقول إن الدين ينشأ في البيئة لخدمة ساداتها
واستبقاء سيادتهم عليها .

فقد كان سادة العرب على خصلة لم يشتهروا بخصلة أشهر

منها ، وهي الكبرياء بالنسب والعصبية العربية .

كانوا فيما بينهم يفاخر بعضهم بعضا بعراقة الأصول والأجداد ، وكانوا في جملتهم يفاخرون الأمم بالنسبة العربية ويسمونها الأعاجم كأنها كانت عندهم خلقا من الحيوان الأعجم ، وكان أميرهم يترفع عن مصاهرة الأكاسرة وهو تابع لهم في دولتهم ، لأن عزة الملك لا ترفعه إلى مقام الكفاءة العربية ، فلو صدق القائلون بأن الدين من إملاء السادة في بيئتهم لما خرج من هذه البيئة دين إنساني يخاطب للناس كافة ويستنكر المفاخرة بالأنساب والعصبيات ويسوى بين العرب والعجم وبين القرشي والحبشي بل يفضل الأعجمي على العربي والحبشي على القرشي إذا فضله بالصلاح والتقوى .

وقد كان الإسلام صريحا في هذا الأدب الإنساني منذ نشأته الأولى ، ولم تأت فيه وصايا المساواة عرضا في سياق وصاياه النافلة التي تستحب ولا تكره مخالفتها ، ولكنها جاءت في الكتاب الكريم والأحاديث النبوية مؤكدة مقررة على صيغة لا هواد فيها ، وكانت سنة النبي عليه السلام في توكيدها وتقريرها من السنن التي لا تخفى على أحد من أصحابه فيما عم أو خص من قدوة حياته الشريفة ، صلوات الله عليه .

فمن القرآن الكريم نعلم أن النبي صلوات الله عليه مرسل للناس

كافة ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ وأن الناس أمة واحدة : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وإن الحياة الباقية لا أنساب فيها ولا فضل فيها لغير العمل الصالح والكفة الراجحة : ﴿ فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن نقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

والنبي صلوات الله عليه يقول : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى » ويتمم بلاغ الرسالة فيقول في خطبة الوداع « أيها الناس ؛ إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد : كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى » .

وكان أبو ذر الغفاري من أقرب الصحابة إليه عليه السلام ، والكنه سمي مرة يقول لرجل أسود : يا ابن السوداء . فبلغ به الغضب غايته وعبر عليه السلام عن ذلك بامتلاء الكيل ، فقال : طف الصاع ! وأعادها مرة أخرى ، ثم قال : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى وبعمل صالح .. » .

هذا الأدب الإلهي الذي لا تفاضل فيه بين الناس بغير الأعمال

قد نشأ في وكر الأنساب والعصبيات ، فليس في نشأته هذه ما يفسر نشوء الأديان لخدمة السادة في المجتمع واستبقاء سيادتهم عليه .

وإذا خابت الفلسفة المادية في تفسير نشأة الإسلام باملاء البيئة أو باملاء السادة عليها فإنها لأخيب من ذلك في تفسير هذه النشأة باملاء الديانات التي سبقت الإسلام وانصل أتباعها بالجزيرة العربية . فإن اليهود كانوا يدينون بأن إسرائيل شعب « يهوا » وأن يهوا إله إسرائيل ، وإن أبناء إبراهيم من سلالة إسحاق هم دون غيرهم المفضلون بموعد الرضوان ، ولما ظهرت المسيحية بين أبناء إسرائيل توجهت بالدعوة اليهم أول الأمر لأنها تحمّل البرهان إليهم في مواعيد الأنبياء التي يدينون بها ، واتفق في أوائل الدعوة كما جاء في إنجيل متى وإنجيل مرقس — « أن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت بالسيد المسيح فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت أعمى وفي جنسها فينيقية سورية ، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها فقال لها : دعى البنين أولا يشبعون . ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فأجابت وقالت : نعم يا سيد ! والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل من فتات البنين ، فقال لها : لأجل هذه الكلمة اذهبي . قد خرج الشيطان من ابنتك ... » .

وأصرت إسرائيل على الإعراض عن الدعوة المسيحية فاتجه

بها السيد المسيح إلى الأمم وضرب المثل لهم بالدعويين إلى وثنية يرفضونها فيشهدوا من حضرها بغير دعوة : « إذ أرسل الداعي عبده في طلب ضيوفه فقال هذا : إني اشتريت حقلا وعلى أن أخرج فأنتظره ، وقال ذلك : إني اشتريت أزواجا من البقر وسأضئ لأجرها . . فغضب السيد وقال لأمده : اذهب عجلا إلى طرقات المدينة وأزقتها وهات إلى من تراه من المساكين . . فعاد العبد وقال لسيده : قد فعلت كما أمرت ولا يزال في الرحبة مكان . قال السيد : فادع غيرهم من أعطاف الطريق وزواياه حتى يمتلئ بيتي فلن يذوق عشاى أولئك الذين دعوت فلم يستجيبوا الدعاء » .

ثم انتشرت الدعوة في غير بني إسرائيل ، وكان من استجاب لها أولى بها ممن أعرض عنها ، لأنهم أصبحوا « أبناء إبراهيم بالروح » .

ثم جاء الإسلام من جوف الجزيرة العربية ليعم بالدعوة أبناء آدم كافة ، ومنهم أبناء إبراهيم بالجسد وأبناؤه بالروح ، فلم يكن في نشأته ما يفسره إملاء السوابق الدينية أو يفسره إملاء البيئة العربية ، وجاء مع دعوته الإنسانية بأدابه الاجتماعية أو الفردية التي يكابر المتعنت في تعنته ما استطاع المكابرة ولا يستطيع أن يفسرها بمالأة الأغنياء والمحتكرين أو بأنها خدر للنفس يروضها

على الذل والاستكانة أو يلقيها عن الدنيا بخيال الآخرة ، فإن الفجوة
الواسعة بين حقائق الإسلام وهذه التفسيرات المادية تلوح للناظر من
اللمحة الأولى ولا تجشمه أن يتعمق إلى قرارها .

وكانما قُضي على الفلسفة المادية أن تبطل بكل حجة من قبل
الإسلام على أوفائها . فلا توسط بين حقيقة الإسلام وبين فروض
الفلسفة المادية : دعوة عالمية من طرف تقابلها من الطرف الآخر تبعة
فردية يستقل بها الإنسان في طويته كأنه وحده عالم قائم بنفسه :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ .

﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ .

﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ .

إن هذه التبعة تكليف لا يدين به ضمير يتعاطى من الدين خدرا
بذهله عما حوله ويفسيه ماهو حق له وما هو واجب عليه ، وحسب
الإسلام عند الشيوعية أنه يفند هذا التفتيد الضارح في جمع مقوماته
ليستحق منها عداوة شديدة تخصه بها بين الأديان العالمية التي يتبها

ملايين الخلق في الزمن الحاضر . إلا أنها - على هذا - كانت تعمه
وسائر الأديان بعداوتها ولا تميزه بعداوة خاصة وهي في دور
الدعوة وترويج النظريات ، وظلت كذلك حتى دخلت في دور
التطبيق وحلت محل القيصرية الروسية في علاقتها بالعالم الآسيوي
داخل بلادها وعلى تخومها ، فاستجد لها من أسباب العداء له سبب
أقوى لديها من كل سبب ، لأنها وجدت فيه نظاما اجتماعيا يتعرض
لكل مشكلة من مشكلاتها ، ولم تجد مثل هذا النظام لمصلحة من الملل
التي تعاملها وتجتهد في نشر الدعاية بين أبنائها .

فالنظام الاجتماعي — أو السياسي — الذي أخذت به اليهودية
قبل عشرين قرنا لا يسرى اليوم على بقعة من الأرض ولا يخشي منه
على الدعاية الشيوعية في المستقبل ، والمسيحية قد نشأت بين مزدحم
الشرائع والنظم السياسية من جانب الهيكل وجانب الدولة فتركت
معتزك السياسة وقصرت دعوتها على الأخلاق والعبادات .

أما الإسلام فقد نشأ في بيئة يتركها للفوضى والاختلال إن لم
يأخذها بنظام واف من نظم الحكم والتشريع ، وقد أخذها بهذا
النظام وأودعه من دواعي التوفيق ما يلائم الزمن بعد الزمن والبيئة
بعد البيئة ولا بضيء فيه باب الاجتهاد كلما وجد "رجوع إليه" في
أحوال غير الأحوال التي نشأت فيها الدعوة الإسلامية ، وجاء القرن

العشرون ولم تفارقة، مرونته التي تصلح للحياة العصرية ولا تستعصي مع الزمن على التجديد، ولا يخفى أن العهد بالأديان العالمية التي يتبعها الملايين أنها تملك هذه الحيوية لتعيش بها في الأجيال المتعاقبة، أو تفقدها فتتحل وتزول ويخلو مكانها لدعوة من الدعوات كيفما كانت، أو تتخبط في مكانها بين الإنكار والشك والوار، فكانت الاسلام هذه الحيوية التي أعيت خصومه في حرب الاستعمار وحرب الإلحاد والإنكار.

ومن أجل هذه الحيوية جردوا له كل ما تجرده الدولة ذات المذهب على خصوم مذهبها، وشنوا عليه حملة شعواء من أشنع حملات القمع والاضطهاد، وحملة أخرى في مثل شناعتها من حملات التشويه والتشريد مع تكيم الأفواه عن المناقشة أو الدفاع.

ونحن لانستقصى في هذا الكتاب أخبار القمع والاضطهاد التي ترامت إلينا من أرجاء العالم الاسلامي في القارة الآسيوية، لأن استقصاء هذه الأخبار موكول إلى مقصد آخر غير مقصدنا من بحوث هذا الكتاب، وهو مناقشة المبادئ والآراء، والإبانة عن مواطن الضعف والخلل في أساسها الذي تقوم عليه، وقد يغفينا عن استقصاء تلك الأخبار في عرض الطريق أن نشير إلى «مصادرة» الفريضة التي تظهر مصادرتها على البعد ولا يجدى فيها التكذيب

والتقوية ، تلك هي فريضة الحج في كل عام . فان حجاج الأُمم الإسلامية كانوا يلتقون في مكة بالألوف من أبناء الأقطار الأوربية والآسيوية الذين كانوا يخفون إلى الأماكن المقدسة كل عام قبل قيام الدولة الشيوعية ، فلما قامت هذه الدولة امتنع وفودهم سنوات ، ثم وصل منهم من استطاع الوصول بعد ذلك فلم يجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين حاجا في كل مرة ، كان يبدو عليهم أنهم يحسون فيما بينهم رقابة شديدة عليهم ، وأنهم ربما كانوا مندوبين لغرض يحملون عليه غير أداء الفريضة .

وتلاحقت - في خلال حملة القمع والاضطهاد - تلك الحملة الأخرى من حملات التشهير والتشويه ، ونمت عليها أقوال الصحف والنشرات وبعض الكتب الموسوعة التي تقضي عليها مادتها باستيعاب موضوعاتها ، ومنها موسوعة الثقافة الشيوعية ، فانها وصمت الإسلام بوصمة الرجعية ومعاونة الاستغلال ، واعتبرته من عقبات التقدم وموانع الحضارة العصرية ، وأفردته بالعدواة التي تستحقها كل عقيدة تصلح للمنازعة المذهب المادى على ضمير الإنسان .

* * *

وما كانت الخصومة الشيوعية لتتورع عن الدعاية الرخيصة كما أعوزتها أسانيد الدعاية المقننة . لأن الافتتاح سابق للدعاية في

خطط الشيوعية ، وأرخص مانكون دعايتهم إذا آنسوا العجز عن إقناع خصومهم ، ومن هذا القبيل كانت حملة التشهير والتشويه التي اضطلعوا بها في دعايتهم على الإسلام فليس لها من معنى يخرج به القارىء من جملتها وتفصيلها غير معنى واحد ، وهو أن الإسلام لم يتنزل في القرن العشرين .

فما كان دين من الأديان ليهاجم بدعاية أرخص من هذه الدعاية المقروغ منها . لأن الأديان لا توجد لتلغي وتعاد كل صباح ومساء . فاما أن توجد لتدين أمة في أجيالها المتعاقبة أو لا توجد على الإطلاق ولا يتصور لها وجود ، وإذا كان طول الأجل مأخذا على الدين فالإسلام لا يؤخذ بهذا المآخذ الهزيل ، لأنه آخر الأديان الكتابية في تاريخ الظهور .

إنما تؤخذ على الإسلام آدابه وفرائضه التي جاء بها يوم ظهوره ، وإنما تؤخذ عليه هذه الآداب والفرائض إذا جاءت رجعية في حينها لا تصلح شيئا مما تصدت لإصلاحه ولا تفتح في الغد طريقا للمصلحين .

ولم يكن الإسلام كذلك من وجهته العامة ، ولا كان كذلك من وجهة المآخذ التي أحصاها عليه الشيوعيون ، وأهمها الرق وتعدد الزوجات وحدود العقاب وشروط المعاملات الاقتصادية ،

وسرى أن الإسلام لم يأت بحكم من الأحكام في مسألة من هذه المسائل إلا كان فيه إصلاح للحالة التي كان عليها في عصر الدعوة ، وحض على الإصلاح في العصور المباشرة التي تليه .

فالإسلام لم يشرع الرق الذي كان مشروعا قبله في جميع الأديان الكتابية وكان الفيلسوف « أرسطو » يسوغه بآراءه الاجتماعية والسياسية ، ويقسم الجنس البشري إلى فريقين : فريق يعمل بعقله ومشيبته ، وفريق يؤدي للفريق الأول أعماله كما تؤديها الآلات .

لم يشرع الإسلام الرق بل شرع العتق وحض عليه وجعله من وسائل القربى والتكفير عن السيئات .

وما أباحه الإسلام من الرق لا يزال مباحاً إلى اليوم بين أمم الحضارة في حروبها . فان الأسرى يعتقلون ويسخرون في العمل ولا تفك قيودهم إلا بالمبادلة أو سداد الغرامة والتعويض ، وهذا هو الرق الذي أباحه الإسلام وأوجب معه المن بالعفو أو الفكاك أو المكاتبه : ﴿ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثبتتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ ولا يبيح الإسلام استرقاق الأسير في كل قتال ، بل يشترط في القتال أن يعلنه الإمام مع عدو لا ذمام معه ولا معاهدة ، ويأمر بمعاملة الأسرى معاملة لا يحلم بها أسير في حرب من حروب الحضارة الحديثة

وينبغي أن يذكره صاحبه فيسميه «عبدى» مؤثراً على هذه التسمية الزرية أن يدعوه «بفتاى» كما يدعو ابنه في كثير من الأحيان ، وإذا كان الإسلام لا يسوي بين الأحرار والعبيد في جميع الحقوق ، فالأسرى في العصور الحديثة لا حقوق لهم ولا مساواة بينهم وبين من يأسرونهم ما داموا على ذمة الفكاك أو الفداء ، وغاية الفرق بين العصر الحديث والعصر القديم أن الدول في هذا العصر تتولي المبادلة على الفداء بعد معاهدة الصلح بين الغالب والمغلوب ، وأما في العصور الغابرة فلم تكن للدول عناية بهذه المبادلة ولا بالتعاهد على الصلح في جميع الأحوال ، ومن لم يفده أهله من الأسرى فلا شأن به للدولة التي كان ينتمى إليها ، ولا استثناء لذلك في شرائع الحرب والسلام إلا بعد قيام الدولة الإسلامية وتفرقتها بين الأمم المسالمة والأمم المعاهدة والأمم المقاتلة ، فإن الدولة الإسلامية قد أوجبت على الإمام فكاك الأسرى من جنوده ما استطاع .

* * *

مقدمة / والنظام الاجتماعى الذى جاء به الاسلام قد صنع فى مسألة تعدد الزوجات ما قد صنعه فى مسألة الرق : حالة سيئة تعانىها المرأة من حرمان المجتمع والقانون أصلحها الإسلام ومهد لمسيرة التقدم الطبيعى الذى يأتى مع الزمن من ضروب الإصلاح .

وعليتنا قبل الاستطراد إلى الكلام عن مركز المرأة في الاسلام أن ندفع وها يعلق بالأذهان عن الأديان الكتابية وتعدد الزوجات فإن الشائع بين الغربيين والمتفردين من الشرقيين أن الاسلام هو الدين الكتابي الوحيد الذي لم يحرم تعدد الزوجات ، وذلك وهم يخالف النصوص ووقائع التاريخ . فإن تعدد الزوجات بغير قيد هو القاعدة الغالبة في زواج الآباء والأنبياء الذين ذكرت زوجاتهم في كتب العهد القديم ، وليس في الأناجيل نص علي تحريم ما أباحه العهد القديم ، ولكن الآباء الأوائل في المسيحية كانوا يحثون على الرهبانية ويستحسنون للأسقف أن يكتفي بـ زوجة واحدة إذا لم يستطع أن يترهب ، لأن شراً واحداً أهون من شرين . وقد أفقى القديس أوغسطين في كتابه عن الزواج الأمثل باباحة التمسرى لمن عقت زوجته وثبت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على المرأة التي يعتم زوجها لأن الأسرة لا يكون لها غير سيد واحد (De Bonogonjugali xv) وكان لشرلمان أولاد شرعيون من عدة زوجات معترف بهن ، وبحث المشرع المشهور جروتوس *Grotius* موضوع تعدد الزوجات من الناحية الفقهية فصوب شريعة الآباء في العهد القديم ، وقال وسترمارك *Westermarck* المؤرخ الخبيجة في شؤون الزواج إن الكنيسة والدولة كانتا تقران تعدد الزوجات إلى القرن السابع عشر وكان يقع غير نادر في الحالات التي لا تحفظ في سجلات الكنيسة أو الدولة .

فالإسلام لم يفرد بين الأديان الكتابية باباحة تعدد الزوجات ، ولم يوجب على أحد لأنه أباحه ، بل أوجب على الزوج أن يعدل في المعاملة إذا بنى بأكثر من زوجة ، وصرح القرآن الكريم بصعوبة العدل بين النساء ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ .

فحكم الإسلام في تعدد الزوجات هو الحكم المطلوب من كل شريعة تقابل كل حالة محتملة ، ولو وقعت في كل ألف حالة واحدة يكون فيها تعدد الزوجات خيراً من الطلاق أو من العقم لعب على الشريعة أن تتجاهلها ولا تحسب حسابها ، وإنه لمن السخف أن يقال إن تطليق الزوجة المريضة أو قبول العقم أفضل في جميع الأحوال من الجمع بين زوجتين ، وإنه لأسخف من هذا أن يقال إن متاجرة المرأة بعرضها عند التفاوت بين عدد الرجال والنساء أكرم من تعدد الزوجات ، وإنه لمن النفاق السماح أن يقال إن الاغضاء عن الاباحة الفعلية يجعل الشريعة صالحة لقديسين يبنون بقديسات ، ويحمل الدنيا سماءاً للملائكة لا يقع فيها إلا ما ينبغي أن يقع في السموات ، وأنه ما على الشريعة إلا أن تقول إن الناس كذلك ليكونوا كذلك طائعين أو راغمين ، ثم يعلموا أنهم كذلك وهم يعلمون رجالاً ونساء أن الزواج الذي يخرج عليه الزوجان محدود بعشرات الألوف . ولقد يعذر من يرى أن الزواج علاقة لذة ومتعة جسدية إذا أغضى عن الفارق الطبيعي بين الجنسين ،

ويعذر مثله من يرى أن انقطاع النسل فضيلة في حائى الرهبانية
والزواج ، ولكنه لا عذر لمن يؤمن بأن الزواج للنسل ثم يتجاهل
التفرقة الطبيعية بين وظيفة الذكر ووظيفة الأنثى فى الحياة النوعية ،
فإن هذه التفرقة لا تهمل كل الإهمال إلا تباعد ما بين الطبيعة وبين
المجتمع من وسائج الحياة . وليس من المطلوب أن يلد الرجل من
مئات النساء ، ولكنه لا يكون فى جميع الأحوال كالمراة التى لا تلد
إلا من رجل واحد فى عدة شهور .

قلنا إن الإسلام قد عالج تعدد الزوجات كما عالج الرق فى عصر
الدعوة : حالة سيئة أصلحها ، وتطور منظور مهده وأشار إليه ،
ولم يضع قط عقبة فى طريقه .

والحالة السيئة التى أصلحها الإسلام أن تعدد الزوجات كان
مباحاً مطلقاً من كل قيد فى البلاد العربية وفيما جاورها ، وكان
رأى المراة فى الزواج مهملاً لا يعتد به سواء خطبت لرجل متزوج
أو غير ذى زوج ، فقيد الإسلام هذه الإباحة المطلقة وجعل للمراة
رأياً مشروطاً فى زواجها ، ونبه الرجل الذى يتزوج بأكثر من
واحدة إلى وجوب العدل فى المعاملة ، ثم نبهه إلى صعوبة العدل
وفضيلة الاكتفاء بـ زوجة واحدة ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ .

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ ، إصلاح ليس بالقليل ، ولا ينبغي أن يحسب قليلاً حتى في موازين المستقلين له من دعاة القرن العشرين ، فانهم لخلقاء أن يسألوا أنفسهم : هل كان من المفيد تحريم تعدد الزوجات لو أراد أحد تحريره ولم يقنع يومئذ بذلك الإصلاح ؟ . . ما كان ذلك التحريم بالجد الذي يقدم عليه مشرع في شئون الاجتماع وما كان له من وصف يوصف به إلا أنه عبث تتزده عنه حكمة التشريع ، ولن يكون التحريم إلا عبث طاب حين تكون الإباحة حكماً عالمياً قد انعقد عليه إجماع الشرائع والعادات والأديان .

وربما كان العمل المنتج في هذا الإصلاح منوطاً باسناد حق الموافقة إلى المرأة قبل البناء بمن يخطبها سواء كانت ولية أمرها أو كان لها ولي ينوب عنها ، والنبي عليه السلام يقول : « لاتنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » ، وقال : « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها » .

فهذا الحق ينقل أمر إنصاف المرأة إلى يديها ، فإن قبلت تعدد الزوجات راضية فهي أولى باختيار ما يرضيها ، وإن قبلت ، لضرورة لا يحصى عنها فوجود هذه الضرورة في المجتمع رد كاف على من يتغافل عنها ولا يلتفت إليها ، وما كانت لمرأة لتقبلها يوماً إلا وهي توقن أن قبولها أوفق لها من رفضها .

على أن تعدد الزوجات على إطلاقه قبل الإسلام لم يكن يضيـم المرأة كما كان يضيـمها قضاء المذلة التي رانت عليها في شعوب الحضارة وشعوب البداوة على السواء ؟ وكان بعض الحضارات — كالحضارة المصرية القديمة — يعيل إلى إنصافها في حقوق الأسرة والمجتمع ثم شملتها النكسة العامة التي غمرت العالم الإنساني في الحقبة التي مرت به من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده ، إذ كان هذا العالم الإنساني قد غثيت نفسه بمساوى الترف المادى والانحلال الخلقي نخرج منها بعقيدة احتقار الجسد وتصوير المرأة في صورة النجاسة المحذورة لأنها عنوان المتعة الجسدية والشهوات الخسية ، فهيبط في معيار الأخلاق والعقائد إلى حطاء النجاسة وبقيت في معيار التشريع حيث أبقتها أم الشرائع في العصور القديمة — دولة الرومان — ولم تزد في شريعته كثيرا عن منزلة الرقيق المملوك الذي لا يستقل عن مشيئة رب الأسرة بحق من الحقوق .

وأما في بلاد العرب فقد كانت للمرأة حالات تتراوح بين الكرامة والمهانة ، أحسنها لم يرتفع بها عن حالة الطفل القاصر في رعاية أهله ، وأسوءها تدل عليه عادة وأد البنات خشية العار وخشية الإملاق ، فهذه الحالة العامة في شعوب الحضارة والبداءة هي التي أنقذها منها الإسلام ، لأنه رفع عن الجسد وصمة النجاسة ورفع عن المرأة وصمة العار ، ووجه لها في المعاملات حقوق الشخصية المستقلة

التي تملك ما عندها وتملك أن تنيب عنها من يديره لها ولو لم يكن
ولها أو قريبها ، وفرض لها المساواة المثلى التي تستقيم مع اختلاف
الجنسين ، ولم يحرمها من المساواة إلا ما يعد الحرمان منه نوعا من
الإعفاء عند تقسيم العمل بين الجنسين المختلفين .

* * *

والمساواة المثلى هي العدل الذي لا ظلم فيه على أحد ، ولهذا لم
يستطع فقهاء التعريفات أن يجعلوها مساواة في الواجبات لأن المساواة
في الواجبات مع اختلاف القدرة عليها ظلم قبيح ، ولم يستطيعوا
أن يجعلوها مساواة في الحقوق لأن المساواة في الحقوق مع اختلاف
الواجبات ظلم أقبح من ذلك ، لأنه إجحاف ياباه العقل وإضرار
يحقق بالمصلحة العامة كما يحقق بمصلحة كل فرد من ذوي الواجبات
والحقوق .

وقوام الأمر إذن أن تكون المساواة العادلة مساواة في
الفرص والوسائل ، فلا يحرم إنسان فرصته لإحراز القدرة التي
تمكنه من النهوض بواجب من الواجبات ، ولا يحرم وسيلته التي
يتوسل بها إلى بلوغ تلك الفرصة بالوسائل التي يتيسر له .
والمساواة في الفرص مفهومة بين أبناء الجنس الواحد ، لأنها

ممكنة في حدود الوظائف الطبيعية ، وأما غير المفهوم فهو المساواة في الفرص بين جنسين مختلفين في التركيب والاستعداد وفيما ثبت من الواقع في تواريخ جميع الأمم ، وفيما يتطلبه المجتمع من تقسيم العمل بين هذين الجنسين .

هذا الاختلاف واقع دائم لا حيلة فيه لأصحاب التعريفات أو أصحاب الدعايات السياسية ، ولا تجدى في إلغائه وإلغاء دلالاته تعلقة من التعلات التي يردونه إليها ، فلا ينتهون منها إلى غير السفسطة والمحال .

« فكل ما يقال في تعليل ذلك راجع إلى علة واحدة وهي تفوق الرجل على المرأة في القدرة والتأثير على العموم . فليست جهالة القرون الأولى بسبب صالح لتعليل هذه الفوارق العقلية بين الرجال والنساء في جميع الأمم . لأن الجهل كان حظا مشتركا بين الجنسين ولم يكن مفروضا على النساء وحدهن دون الرجال ، ومن زعم أن الرجل فرض الجهل على المرأة فقبله ، وأذعنت له فقد قال إنه أقدر من المرأة أو أنه أحوج إلى العلم وأحرص عليه منها . وليس الاستبداد في القرون الأولى سببا صالحا لتعليل تلك الفوارق لأن استبداد الحكومات كان يصيب الرجل في الحياة العامة قبل أن يصيب المرأة في حياتها العامة أو حياتها البيتية ، ولم يمنع الاستبداد طائفة من العبيد

المسخرين أن ينبغ فيهم العامل الصالح والشاعر اللبق والواعظ الحكيم والأديب الطريف ، وليس يحز المرأة عن مجارة الرجل في الأعمال العامة ناشئا من قلة المزاولة لتلك الأعمال ، لأنها زاولت أعمال البيت ألوف السنين ولا يزال الرجل يزهو في هذه الأعمال كلما اشتغل بصناعاتها ، فهو أقدر منها على الطهو وعلى التفصيل وفنون التجميل وتركيب الأثاث وكل ما يشتر كان فيه من أعمال البيوت وقد يرجع الأمر إلى الخصائص النفسية فيحتفظ فيها الرجل بتفوقه على الرغم من استعداد المرأة لتلك الخصائص من أقدم عصور التاريخ . فالتواضع على الموقى عادة تفرغت لها المرأة منذ عرف الناس الحداد على الأموات ، ولكن الآداب النسوية لم تخرج لنا يوما قصيدة من فصائد الرثاء تضارع ما نظمه الشعراء الرجال سواء منهم الأميون والمتعلمون ، وقد كان أكثر الشعراء في العهود القديمة من الأميين . بل هناك خاصة نفسية لا تتوقف على العلم ولا على الحرية ولا نوع العمل أو الوظيفة في المجتمعات أو البيوت ، وهي خاصة الفكاهة وخلق الصور الهزلية والنكات التي يلجأ إليها الناس حين يحال بينهم وبين التعبير الصريح ، وربما كان الاستبداد أو الضغط الاجتماعي من دواعي تنشيط هذا السلاح النفسي في قرائح المستعبدين والمغلوبين ، لأنه السلاح الذي ينتقم به المغلوب لضغفه والمنفذ الذي يفرج به عن ضيقه وخوفه ، وقد كان ضغط الرجال على النساء

خليقا أن يغريهم باستخدام هذا السلاح لتعويض القوة المفقودة والانتقام للحرية المسلوقة ، ولكن الآداب والنواذر لم تسجل لنا فكاهة واحدة أطلقها النساء على الرجال كما فعل الرجال المغلوبون في الأمم الحاكمة أو المحكومة على السواء أو كما فعلوا في تصوير رياء المرأة واحتياها على إخفاء رغباتها وتزويق علاقاتها بالرجال ، وهذه الملكة - ملكة الفكاهة - خاصة بنفسية لم يقتلها من طبائع الرجال ظلم ولا جهل ولا فاقة ولا عجز عن العمل في سبيل الحياة . فمن الحاجة أن يتجاهل المتجاهلون هذه القوارق وهي أثبت من كل ما يثبت العلم والعلماء ، وما كان للعلم أن يوجد شيئا لم يكن له وجود في الواقع أو في تفكير العقول ، وإنما هو أبدا في مقام التسجيل أو مقام التفسير (١) .

* * *

إن هذه الاعتبارات موضوعة حتما بين يدي كل تشريع يتحرى مصلحة المجتمع في حاضره ومستقبله ، ومتى نظر التشريع إلى هذه الاعتبارات فإنه لا يقيم العدل بين الجنسين على أساس المساواة في الفرص ولا على مطالبة كل منهما بواجبات كواجبات الآخر أو تخويله حقوقا كحقوقه ، وليس أمامه من عدل بين الجنسين غير

(١) من كتاب الفلسفة القرآنية للذوالف .

العدل على أساس تقسيم العمل بينهما كما يتوفر عليه كل منهما ، وهذا هو العدل على سنة المساواة بين الواجبات والحقوق ، وأن تكون حقوق الجنس مكافئة لواجباته ، وواجباته مكافئة لحقوقه ومن الهزل لامن الجد في شيء — أن نعلم أن تربية البنين وتنشئة الجيل الجديد وتنظيم البيت والأسرة واجب على المرأة قبل الرجل ثم نزع أنها مساوية له إذ تقوم بهذا الواجب وتقوم بأعباء الرجل في الأعمال العامة على السواء .

العدل
بواجب
ع. طهرو

وعدل المساواة بين الواجبات والحقوق هو عدل الإسلام في بيان حقوق المرأة وحقوقها هي على الرجل وحقوق الرجل عليها : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ .

وإن تقسيم الواجبات والحقوق في الإسلام على هذا القسطاس هو تقسيم الفطرة الذي يرجع إليه قسرا كلما شردنا عن طريقه ، وما نخال أن تقسيم الفطرة مجهول بعد تقرير مكان المرأة الطبيعي في القيام على شئون البيت وتربية الجيل الجديد ، ومن حقها إذن على الرجل أن يتولي الإنفاق عليها وعلى البيت ، إذ كانت لا تستطيع أن تعمل أبناءها وتكدح لنفسها .

دعه صنفه

نعم ، إن المرأة في المجتمعات الحديثة تضطر إلى العمل لكسب معيشتها ، إلا أن هذا الاضطراب خلل في المجتمع يؤسف له ولا يغتبط به ولا يبني عليه قوام الحاضر والمستقبل ، وقديماً كان الطفل الصغير مضطراً إلى العمل لكسب معيشته فلم يكن هذا فضيلة للمجتمع الذي يحدث فيه تستوجب التشجيع والإقرار ، وتستقيم عليه أسس التربية والتشريع ، بل كان خللاً وخيم العاقبة تتضافر الجهود على سداده وتحريمه ، وتحاربه الشرائع والآداب على الرغم من الاضطراب إليه في كثير من الأحوال .

وإن الحل الذي يلجئ المرأة إلى السوق وإلى المصنع وإلى معارك الحياة العامة لتحقيق بمثل هذه المحاربة ، ومفروض علينا أن نجعل القضاء عليه أملاً لنفسه ولا نجعله إنكاراً لحقوق المرأة وانتقاصاً من كرامتها ، وهكذا تستوى مصالح المجتمع على جاداتها أو تنقلب على من ينسخونها - ويمسخونها - كما تنقلب قوانين الفطرة على كل خارج عليها .

وبعد أربعين سنة من اللفظ « بالرجعية » في الإسلام والتقدم في المذهب المادى القائم على العلم ورعاية القوانين الطبيعية في زعم أصحابه - يحق للناسد المسد أن يتسم بهويته في كل يوم ضربة من ضربات الفطرة ترد بالسخرية على من يخرجون عليها ، ونقرأ في

خطب الفلاسفة الماديين كلاما عن الأسرة الملعونة - في عرف الماديين
يقيم عليها دعائم المجتمع الصناعي الذي ينبغي أن يعصف بالأسرة
نصفًا إذا صح ما قدره له « كارل ماركس » وأتباعه ، ويقول لنا
الفيلسوف خارشيف Kharchev من خطاب للشبان الشيوعيين أذيع
في الثلاثين من شهر يناير سنة ١٩٥٦ ... « إن الأسرة السوفيتية الناشئة
تخلق من أجل العمل المشترك على مصلحة الوطن ، كي تزوده بأبناء
وبنات مجتهدين مخلصين ، وأن سعادة الأسرة لن تنفصل عن سعادة
المجتمع الاشتراكي وجهوده » .

وأدعى من ذلك إلى الابتسام قول الزعيم خروشيشف في
تقريره للمؤتمر العشرين من مؤتمرات الحزب الشيوعي كما نشرته
« برافدا » في الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٥٦ :

« إننا لانستطيع أن نتجاهل الحقيقة الواقعة التي تلاحظ في
هيئات كثيرة من هيئات الحزب الشيوعي ، وهي الخذر من ترشيح
النساء للمراكز الرئيسية فإن عدد النساء قليل جدا بين أصحاب
المراكز الموجهة في الأعمال السوفيتية ولا سيما مراكز السكرتارية
في اللجان ومراكز الرئاسة في اللجان التنفيذية والمشروعات
الصناعية والحقول المشتركة وحقول الدولة » .

ولم يلاحظ هذا الخذر في مجتمع يدين بالرجعية الإسلامية ، ولكنه حدث

في مجتمع مضى عليه أربعون سنة يغتصب التسوية اغتصاباً بين الرجل والمرأة وينشأ أبناء الأربعين وبنات الأربعين فيه وما سمعوا قط شيئاً غير «أوامر» المساواة بين الجنسين في المدرسة والمصنع والطريق والبيت ، وما اجتراً قط على التشكيك في هذه المساواة بين أبنائه وبناته أحد يريد أن يأمن على حياته من تهمة النكسة والخيانة واستعادة الآداب الغابرة التي قام عليها الاستغلال في بلاد رأس المال.

* * *

وستمضي أربعون سنة أخرى بعد هذه لسنين الأربعين التي مضت على وضع الشريعة الماركسية في موضع التنفيذ ، وسيبتعد العالم مسافة أخرى من أحكام هذه الشريعة كما خرجت من دور النبوءات والنظريات ودخلت في دور الوقائع والمحسوسات، وسيكون ابتعاد العالم عنها في المستقبل أعجل وأسرع من ابتعاده عنها فيما مضى ، لأن حماسة الإيمان بها كانت تصمد للحوادث حيناً يطيل أجلها على غير طائل ، ولن يقوى هذا الإيمان المتهاافت بعد اليوم على صدمات الحوادث في الداخل والخارج إلا من قبيل تغطية الهارب لمهربه إن بقيت به حاجة إلى التغطية بعد انكشاف الأمر وشيوع التفاهم على بطلان المذهب بين دعاة وأدعيائه . وسيبقى غداً لمن يبقى بعد هذا الزمن متعلقاً بحاله الرثة محتجاً به على نظام من النظام

الدينية أو الوضعية، فإما من نظام سيكون غداً أبعد من النظام الماركسي عن حقائق الأمور ، وسبق من الإسلام على التخصيص ما كان باقياً قبل ظهور المادية التاريخية وبعد احتجاجها، فيزول المذهب الذي قالوا إنه مذهب العصر والعم والتقدم إلى المستقبل بغير نهاية ، ويبقى المذهب الذي قالوا إنه قد لحق بأمس الدابر فليس له من الغد نصيب. ويتبارى غدا من يتبارى في شأن الأسرة والمرأة بعد الشوط الطويل الذي يعبره العالم اليوم متردداً مختلفاً على نظام الأسرة وحقوق المرأة أو حقوق الجنسين ، ولكنه لا يتبارى في جناية المذهب المادي على الأسرة وجنائته من ثم على المجتمع في حاضره ومصيره ، ولن يتبارى في حقيقة النظام الذي ينقذ المرأة من براثن الاستغلال والابتذال ، فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن تخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت بيتها أماً وربة أسرة وسيدة للعالم الصغير الذي ينشأ منه الغد ويسكن إليه الحاضر من وعثاء الكفاح في الأسواق والمصانع ومعارك السياسة .

والشيوعى الذى يرى له غدا حين يحتاج بقايا مذهبه على النظام الإسلامى فى شأن المرأة — سيرثى له من اليوم حين يحتاج بقايا مذهبه على النظام الإسلامى فى شئون المعاملات .

فكل منتقد لهذا النظام يستطيع أن يقول شيئا إلا جماعة الشيوعيين أصحاب الآراء المعروفة في رؤس الأموال واستغلالها في أيدي المرابين والمتجرين بالنقود .

فان الذين يزعمون أن الإسلام لا يصلح للمعاملات العصرية قد جمعوا أسبابهم كلها في مسألة المصارف والقروض أو فيما سموه مسألة الربا على غير فهم لأحكام الإسلام فيه .

وهؤلاء لهم كلام يقولونه في هذا الصدد اذ لا كلام فيه لأحد من الشيوعيين . لأن هؤلاء الشيوعيين قد تطول ألسنتهم في كل مجال ولا تستطيع أن تطول في هذا المجال ، مع فلسفتهم المعلومة عن رؤس الأموال وعن الاستغلال وبيع النقد كما تباع السلع لفائدة أصحاب « الأعمال » وعلى حساب طوائف العمال ! .

فماذا يقول الشيوعى إذا أراد أن ينقد الإسلام في تحريمه الربا والاتجار بأعيان النقود ؟

إنه يسكت السكوت الذى يستحق الرثاء ، فانه ليقف هنا موقف العاجز عن تحريك لسانه بالثناء وهو لا يريد الثناء ، أو بالذمة والتجريح ولا وجه عنده للذمة أو تجريح .

لقد حرم الإسلام الاتجار بأعيان النقود كما حرم أكل الربا

لقد كان لا يفتقر إلى

أضعافا مضاعفة وما من شريعة عصرية تبيح اليوم ما حرمه الإسلام على المرابين وهي آمنة على سلامة المجتمع من الخراب أو من الفتنة والاضطراب . فاما المعاملات التي لا ضرر فيها على أحد ولا اتجار بالنقد في غير عمل فليس للإسلام فيها حكم غير حكم القانون الصالح أينما كان ، وأنى يكون .

* * *

ومسألة الحدود الجنائية أدق المسائل بعد مسألة الرق ومسألة المرأة ومسألة المعاملات ، ودفعها أنها مسألة فقهية للفقهاء وولاية الأمور ، وليس قصارى الأمر فيها أنها مسألة من مسائل الشعائر والمعتقدات .

وهذه المسألة الفقهية الدقيقة تتشعب فيها شروح الفقهاء من حيث تتعدد الحدود والجناسيات ، وتتعدد الشروط والأركان ، وتتعدد الأدلة والشبهات ، فيقع فيها اللبس الكثير كما يقع في عموم المسائل الفقهية ، ويخطئ المسلم الجاهل دقائق الرأي فيها كما يخطئها الجاهل بالإسلام من الأجانب عنه أحسن النية أو أساء .

والإفاضة في البحوث الفقهية ليست من أغراض هذا الكتاب ، وقد نستوفي أغراضه إذا نهنا إلى منافذ الخطأ في فهم النظام

الاجتماعي الذي جاء به الاسلام وفهم نظام العقوبات على التخصيص ،
وهذا ما ننبه إليه بالإيجاز في الأسطر التالية .

إننا نسمع على الدوام أن عقوبات الشريعة الإسلامية ينبغي
أن تطابق أحوال القرن العشرين .

ونقول نعم ولا نحسب أن أحدا يقول غير ذلك ، ولكن
الألزم من ذلك أن تكون مطابقة للبيئة التي نزلت فيها وللزمن
الذي نزلت فيه .

وقد نزلت الشريعة الإسلامية في الجزيرة العربية على عهد
الجاهلية ، يوم كانت شريعتها الغالبة بين جميع القبائل شريعة الغارات
التي تستباح فيها دماء المغلوب وأمواله ونسأؤه وكل مملوك له في
حوزة الفرد أو حوزة القبيلة ، وكان أهل الكتاب يدينون بشريعة
موسى التي لم يبطلها السيد المسيح ولها حدود مفصلة في التوراة
وقصاص تؤخذ فيه العين بالعين والسن بالسن ، كما ذكرها القرآن
الكريم .

فإذا جاء الإسلام بعقوبات لا تصلح لعصر الدعوة لم يعط التشريع
حقه في ذلك العصر ولا في العصور التالية ، ولكنه أعطى التشريع
حقوقه جميعا إذا صلح لزمانه ولم ينقطع صلاحه لما بعده ولم يمتنع

فيه باب الاجتماع عند اختلاف الأحوال ، فيشتمل جزاءه على جنائيات الحدود والقصاص وعلى الجنائيات التي تستحدثها أحوال المجتمعات ويأخذها الشارع بما يلائمها من موجبات الجزاء .

وهذا ما صنعه الإسلام في جنائيات الحدود والقصاص وفي غيرها من الجنائيات التي تدخل عند الفقهاء في باب التعزير ، وعلينا أن نذكر :

« أولا » أن الحدود مقيدة بشروط وأركان لا بد من توافرها جميعا بالبيينة القاطعة وإلا سقط الحد أو انتقل إلى عقوبات التعزير إذا كان ثبوته لم يبلغ من اليقين مبلغ الثبوت الواجب لإقامة الحدود . وأن نذكر « ثانيا » أن القصاص مشروط فيه العمد وإرادة الأذى بعينه فإن لم يثبت العمد فالجزاء الدية أو التعزير ، وقد يجتمعان أو يكتفي بالدية دون التعزير أو بالتعزير دون الدية . ولنذكر أن جرائم التعزير تشمل جميع الجرائم التي يعاقب عليها بالسجن أو بالغرامة أو بالعقوبات البدنية .

ولنذكر في جميع هذه الأحوال أن الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات ، فإذا قامت الشبهة للشك في ركن من أركان الجنائية أو ركن من أركان الشهادة فلا يقام الحد وينظر ولي الأمر في التأديب بعقوبة من عقوبات التعزير .

ولنضرب المثل بأكبر جنائيات الحدود وأشيعها في الجاهلية العربية وجاهليات الأمم في عنفوانها ، وهي جنائية قطع الطريق والعيث في الأرض بالفساد ، ففي هذه الجنائية يقول القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٠ ﴾

فهذه جنائية لها عقوبات متعددة على حسب الأضرار والجرائم ، ومنها القتل والصلب وقطع الأطراف والنفي وهو بمعنى النبد من الجماعة إما بالسجن أو بالإقصاء ، ويلزم العقاب من لزمته أحكام الدين ، فإذا كانت جنائيته قد انتهت بالتعوبة قبل أن يلزمه قضاء الاسلام فهذا هو الباب الذي فتحه الاسلام لابتداء عهد وإنتهاء عهد غير بأوزاره وعاداته وانطوى حساب الجنائية والعقاب فيه بانتهائه .

وأشد هذه العقوبات لم يكن شديدا في عرف أمة من الأمم عوقب فيها من يقطعون الطريق ويعيثون في الأرض بالفساد ، مع حضور الخطر وكثرة مغرباته وقلة الزواجر الاجتماعية التي تحمي المجتمع من أضراره وجرائمه ، وقد كانت عقوبات القتل والتمثيل

قائمة في جميع الأمم مع قيام الجريمة وقيام أسباب الحذر منها ، وظلت كذلك إلى القرن السابع عشر في البلاد الأوربية التي استقر فيها الأمن بعد الفزع وانتظمت فيها حراسة الطريق بعد الفوضى التي طغت عليها من جراء فوضى الجوار بين الحكومات .

وتلحق بجناية قطع الطريق جناية السرقة التي لاغصب فيها ، وشروطها أن يكون السارق عاقلا مكلفا وأن يكون المال المسروق محرزا مملوكا لمن يحزره بغير شبهة ، بالغاً نصاب السرقة كما يتفق عليه الفقهاء ، وكل جريمة من قبيل السرقة لم تثبت فيها هذه الأركان المشروطة فلا يؤخذ فيها الجاني بحد السرقة ويؤخذ فيها بعقوبات التعرير ، وعند الضرورة القاهرة التي بقدرها الإمام يجوز العفو كما عفا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن الغلامين السارقين في عام المجاعة .

ولا بد أن يمتد نظر الباحث على مدى مئات السنين قبل أن يسأل عن صلاح الشريعة لعصر من العصور ، ولا محل لسؤاله إذا أراد أن يحصر هذه الشريعة في زمن واحد وبيئة واحدة ، ولكنه يحسن السؤال إذا عرض أمامه أحوال الأمم فيها القديم والحديث وفيها الممجى والمتحضر وفيها المسالم المأمون والشرير المحذور ثم سأل هل في الشريعة قصور عن حالة من الحالات التي تعرض لتلك الأمم

في جميع أطوارها ؟ وهل هناك عقوبة نصت عليها الشريعة لم تكن
صالحة في حالة من تلك الحالات ؟

فهكذا توزن الشرائع التي تحيط بالمجتمعات في مئات السنين
ومئات البيئات وبغير هذا الوزن تكثر منافذ الخطأ أو يبطل السؤال
فلا محل للسؤال .

* * *

وننظر إلى المجتمع الإنساني الذي يقيمه الإسلام بعد هذه
النظرات النجمية إلى مسألة الرق ومسألة المرأة ومسائل المعاملات
ومسائل العقوبات ، فتحن إذن خلقاء أن نرى فارقاً بين المجتمعين —
مجتمع الإسلام ومجتمع الشيوعية — لا تستوى فيه وجوه القياس ،
لأنه فارق بين وهم مفروض على التخمين ، وبين حقيقة واقعة من
حقائق الماضي والحاضر وحقائق المستقبل كما يراها من يشهده
رأى العين .

فالمجتمع الشيوعي فرض خيالي قوامه دعوى المدعين أنه سيأتي —
إن أتى — سويّاً بغير طبقات ، وأن الشرور الاجتماعية وشرور
الطبائع كافة ستفارقه أبداً الأبدن إذا فارقه شيء واحد ، وهو
رأس المال .

هذه هي الخرافة التي يسمونها بالمجتمع الشيوعي الذي سيحقق غداً
متى حقت الدعوى أو حتى الفرض والتخمين .

أما المجتمع الإسلامي فهو هذا المجتمع الإنساني المتجدد الذي يحق على سنة التقدم بما يحققه من مبادئ الإسلام ، وهي مبادئ لا تنتشر وتنطوي في مدى أيام أو مدى أعوام .

يقوم المجتمع الإنساني على المساواة بين الناس بغير تفرقة بين الأنساب والألوان والأجناس ، ولا تمنعه المساواة أن يعطى المزايا النافعة حقها من الانصاف لمصلحة المنتفعين بتلك المزايا في جميع الطبقات ، ولا تفاضل في الحقوق بالمال أو بالوراثة ، فانما يكون التفاضل بينهم بالعلم والعمل : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ . . . ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وبأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ .

وإذا وجدت درجات الثروة فلا ينبغي أن تكون حكراً تستأثر به طبقة واحدة ولا أن تكون « دولة بين الأغنياء » ولا بد في كل ثروة من حق معلوم للسائل والمحروم .

والإسلام لا يحل مشكلة الفقر بالصدقات المفروضة على الأغنياء لمعونة الزميين والمعوزين ، ولكنه جعل هذه التسهيلات منذ ألف وأربعمائة سنة لمن جعلتها لهم دول العصر الحديث من العجزة والمرضى

والشيوخ والمنقطعين ، وحل مشكلة الفقر « أولاً » بخلع القداسة التي كانت تجلله في كثير من الأديان ثم حلها بإيجاب العمل على القادرين وإيجاب تديره على الإمام المسئول لكل قادر عليه .

* * *

والمجتمع الإسلامي لا يهدم شيئاً من كيانات الاجتماع الذي استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية في الحقب الطوال ، لأن المفهوم من سير الهداية الإلهية كما يسردها القرآن الكريم أن حياة النوع الإنساني تاريخ متصل يتمم بعضه بعضها وتنتهي إلى التعارف بين الشعوب والقبائل في أخوة عامة لأفضل فيها لقوم على غيرهم إلا بالعمل الصالح ، ولهذا يحرص الإسلام على كيانات الاجتماع في الشخصية الفردية وفي الأسرة وفي الإيمان بوحدة النوع ، ولا يهدم بنية من هذه الأبنية الحية التي « تحققت » لتعيش بين القوى العاملة في المجتمع لا لتهدم وتندثر في حقبة بعد حقبة ، كأنها من الشرور التي تولد على الرغم منا وتعود كلما استأصلناها كرة بعد كرة ولا ندرى من أين تعود .

وقد جاء في القرآن الكريم في وصف أهل النار أنهم ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أمختها حتى إذا أداركوا فيها جميعاً قالت أخرجهم أولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾ .

ففي هذا الوصف « للعالم الملعون » بيان للفارق في تقاير الاسلام بين المجتمع المثالي في الشر والفساد والمجتمع المثالي في الخير والصلاح ويصدق الوصف المثالي لعالم الشر والفساد علي التاريخ الانساني كما توهمه الشيوعيون : كلما تعاقبت أطوار التاريخ لعن الأواخر منها أوائلها وجاء الخلف الأخير ليصيب النعمة والعذاب عليهم أجمعين .

ذلك في الحق تاريخ جسيم ، أو تاريخ عالم ملعون ، لا خير في أوائله ولا أواخره ، وشره ثابت فيما كان وخيره لا يكون إلا في أحاجي الأوهام والظنون ، بعد هدم ما كان جميعاً أملاً فيها سوف يكون .

كيان الاجتماع في الاسلام لا يهدم بل يزداد قوة على قوة ، ويدعمه الاسلام ليؤسس به بنياناً مرصوصاً يشد بعضه بعضاً ، ويتعاون على البر والتقوى ولا يتعاون على الانم والعدوان .

فالشخصية الإنسانية فيه حقيقة حية ، والأسرة الاجتماعية فيه حقيقة حية ، والنوع الانساني الذي تنتمي شعوبه وقبائله إلى أسرة كبيرة يجمعها التعارف والتعاون هو كذلك حقيقة حية .

لا شيء يهدم جزاءاً أو لا ينتظر مجتمع من الخلق لا رابطة بينهم إلا أنهم كانوا مأجورين يسامون بخس الأجور .

هذا المجتمع الذى ينهدم من أجله كل كيان قائم لم يكن قط إلا
وها من أوهام الخيال ، أو حلما من أحلام كابوس الشر والفساد .
أما الشخصية الإنسانية وروابط الأسرة ووحدة النوع الإنسانى
فهى أمامنا بنية حية أو بنية تحيا ولا يجوز أن تنهدم لوهم من الأوهام .
كل منها « كيان » حق صنعته العناية الإلهية ورصدت له رسالته
وآتته قدرته عليها ، ولم يخرج من بوتقة الخلق « غلطا » ليعاد
تركيبه بعد تصحيح حسبة الأجور ورؤس الأموال .

وما من حجة غير حجة الشيوعية ينهدم بها كيان الشخصية
الإنسانية وينهدم بها كيان الأسرة وينهدم بها كيان النوع الإنسانى
ليؤول ميراثه إلى طائفة مزعومة ما وجدت بعد وما من دليل قط
على أنها وشيكة الوجود .

ما أهزل الحجة وما أكرم البناء الذى يراد له الهدم والفناء .

إن الشخصية الإنسانية — شخصية الفرد المسئول — لا ذنب
لها إلا أنها لا تستطيع كل ما تريد ، وأن ما يريده الأفراد يتم فى
المجتمع على نحو غير الذى أرادوه ، ولو ثبت هذا الذنب لما أوجب
مقت الحرية الفردية ولا أوجب بطلان العمل الذى تعمله ، فربما
كانت مناوأة المجتمع للفرد هى الشر الذى تربله أو نتمنى له الزوال ،
وكما يقال أن عمل الفرد موقوف على التجاوب بينه وبين المجتمع يقال

طريق الزنى

كذلك إن عمل المجتمع موقوف على التجاوب بينه وبين الأفراد ، فلا وجه لهدم «الشخصية الفردية» حتى لو صح أنها لا تفعل كل شيء .

والأسرة تنهدم لأنها أذنت بتعليم الناس شريعة الميراث ، وما تعلمت ^{الميراث} الأسرة الميراث إلا من طبيعة التكوين التي تجعل الولد وريثاً لأبيه في خلقه وخلقه ولا يستطيع المجتمع أن يجرده من هذا الميراث أو ينتجيه منه إن طلب النجاة ، وما كان ميراث المالكين شيئاً في جانب الميراث الذي تلقاه ورثة الصناعات أبناء بعد آباء وآباء بعد أجداد ، وما كان في بني الإنسان من خير إذا لم يبق منهم إلا من يعمل لساعته ولا يفكر في غده ولا فيما يكون بعد حياته ، وهذه خليقة تعلمها الناس من الأسرة ومن الميراث وتعلموا خيراً يذهب بذهابه ميراث هذا المخلوق المسمى بالإنسان حيث كان .

وأما النوع الإنساني فينهدم لأنه لم يوجد قط في عرف الشيوعيين ، بل كان الموجود في كل حقبة طائفة من السامسة وطائفة من الأجراء وطائفة من أصحاب المال ، ودنيا واسعة لك أن تسميها سوقاً أو مصرفاً أو مصيدة من مصائد الحيلة والخديعة ، وليس لك أبداً أن تسمي هذه الدنيا في طور من أطوارها أو في جميع أطوارها علماً يسكنه بنو الإنسان !

كلما دخلت أمة اعنت أختها .

هذا هو الجحيم الشيطاني الذي زيفه الأبالسة ، ولم يفرزه أحد قبل مقدم إخوانهم وأندادهم في الحيلة والخديعة دعاة الشيوعيين ! .

وهذا بحق هو العالم المثالي للشر والفساد .

وفي مثل هذا العالم قد يسهل العبث بكل كيان اجتماعي بنائه التاريخ ولا يزال يبنيه ويوطد بنيانه على اتصال بين ماضيه وقاليه : قد يسهل العبث بهذه الأبنية الاجتماعية في دور التجريص والتخريب ، ولكنها قوى اجتماعية لا يتأتى الاستغناء عنها في دور التأسيس والتنظيم ، ولا بد أن تحيق عوائل الحرمان منها بالمجتمع في جملته وبكل فرد من أفرادها على حدة ، وقد حاقت بالمجتمع الشيوعي عواقب الحرمان من هذه القوى الحية ! قوة الكرامة الإنسانية في « شخصية » الفرد وقوة العاطفة المتأصلة في كيان الأسرة وقوة الإيمان بوحدة بني الإنسان التي تعلو على منافع الطوائف والأفراد . فأحس المجتمع الشيوعي عواقب هدمها في اليقين الحواء والعواطف النخرة والحماة المسكوبة من صنع الكلام في مصانع الأوهام . فثاب أعداء الوطن والدين يتمسحون بالوطن والدين ، وقالوا في رثائهم للحرية الشخصية بعد موت ستالين أن اختناق الضائمر والعقول في عهده إنما كان شهوة من شهوات استبداده خرج بها على مبادئ الدعة المقدسة وخالف بها أنابيل ماركس وإينين ، ردوا عن الأسرة أنها قوام المجتمع كله أو قوام الوطن كما يسمونه الآن ، وقالوا

عن وحيم المعصوم - بعبارة وجيزة - أسوأ ما كان في عرفهم كفرا
بواحا منذ عام أو عامين .

ونحن لا نعلم أن ستالين كان في استبداده مخالفا لمبدأ من مبادئ
أستاذه ماركس ولينين ، والمهم هنا هو مبادئ لينين بعد الحرب
العالمية الأولى لأن ماركس لم يحضر عملا من أعمال التنفيذ والتنظيم في
الدولة الشيوعية ، ومبادئ لينين التي أعلنها في هذه الفترة صريحة في
جواز الحكم المطلق وموافقته للمبادئ الشيوعية ، فانه يقول في الجزء
الثلاثين من مجموعة أعماله الروسية : « إن اشتراكية السوفيت
الديموقراطية لا تناقض بحال من الأحوال قيام الدكتاتورية
والادارة بيد فرد واحد . إذ يتم في هذه الحالة تنفيذ إدارة الطبقة
على يد حاكم بأمره يعمل على تعجيلها وقد يكون ألزم لتحقيقها » .

فليس في استبداد ستالين خروج على مبادئ المذهب كما شرعها
مؤسس المذهب في دور التنفيذ ، فاذا كان في الأمر من جديد فالجديد
فيه أنه هزيمة جديدة للمذهب في حربه للحرية الشخصية تتلو هزائمه
الأولى في حربه للأسرة وللحرية الشخصية أو للحقوق الشخصية
المهضومة — قبل موت ستالين بسنوات . فجاء المذهب الذي جعل
الملكية الخاصة ينبوعا لجميع الشرور يوحى بها ويبسجها في المزارع
المشتركة ، وجعل من حقوق الفلاح في تلك المزارع أن يحتجز قطعة

من الأرض لسكنه وتربية دواجنه يملكها في حياته ويورثها بعده
لخلفائه في المزرعة المشتركة ولا يسمى ذلك عندهم بالملك الخاص لأنهم
يسمونونه بالسكن المقيم .

ومما ألماناه في هذه الأسطر عن القوى الاجتماعية التي تهدمها
الشيوعية وبينها الإسلام نعلم أن النظامين متقابلان لا يتلاقيان ،
وأنهما متضادان مذهبا وخلقيا ومجتمعيا ولا ينحصر التضاد بينهما في
العقائد والمقولات .

فالشخصية الإسلامية التي تهدمها الشيوعية يوطدها الإسلام
وينوط بها أوامره ونواهيه ، ويعرفها مشتعلة لا واسطة فيها بين
الخلق والخلق من سلطة دينية أو حكومية ، ولا حجاب فيها بين
الأرض والسماء .

﴿ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ﴾ .

﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .
والأسرة التي تهدمها الشيوعية يجعلها الإسلام سكنا للزوجين
وموئلا للبر والرحمة بين الآباء والأبناء .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغ
عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل هما
قولا كريما ﴾

والبنون من زينة الحياة الدنيا ومن نعم الله التي يحصيها على عباده .

ولقد يكون للباء في الأمم المقاتلة، وفي غيرها هوى في ذرية
البنين يغتبطون بهم ويزهدون في الذرية من البنات ، فالقرآن
الكريم يؤنبهم على ذلك ويدعهم شعوراً غير هذا الشعور في محبة
الذرية من بنين أو بنات :

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى
من القوم من سوء ما شر به أيمنسكه على هون أم يدسه في التراب
الأساء ما يحكمون ﴾ .

أما الشعور الإنساني الذي لا يحجبه شعور الطبقة ولا شعور
العصبة فهو الشعور بالأسرة الواحدة تجمع الشعوب والقبائل من أب
واحد وأم واحدة ، وهو شعور الإخاء بين جميع المؤمنين ﴿ إنما
المؤمنون إخوة ﴾ ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على
سرر متقابلين ﴾ ... وذلك هو المثل الأعلى لتعيم الأبرار .

والقوى التي تنعقد فيها المقارنة بين النظامين الاجتماعيين هي أشياء
وجودية محسوسة الأثر ، يحاربها الشيوعيون لأنهم يجدونها ويحسون
أثرها ، ثم هم يجدون منها سدوداً تصدهم وتعوق مبادئهم أن تنتشر
بين الشعوب الإسلامية ولا تصدهم بسدود من التعصب الديني وحسب
كما تصورهم العقائد الدينية الأخرى ، بل تلقاهم بالمبادئ التي تعنيهم

عن مبادئ الشيوعية وبالنظام الذى يغنيهم عن نظامها ويحز في نفوسهم أنهم يحاربونها بمبادئ يرجعون بين آونة وأخرى عن مبدأ منها ، ويتعدون عنه ليقتربوا من النظام الذى شنوا الغارة عليه وأرادوا أن يزعموه فاعتموا أن أيدوه وأكدوه .

وإنهم لفي عدااء عنيف للإسلام من أجل هذا لا من أجل أنه دين ينسبونه إلى عمل الإنسان ولا ينسبونه إلى الوحي الإلهى كما ينسبه المسمون ، ولو كانت قوى الإسلام الاجتماعية تطاوعهم وتجاريهم على سياستهم وعلى مطامعهم لمحاربوه ولا ضارهم أن يؤمن المسمون بأنه من وحي الله لا من عمل الإنسان .

فليست المشكلة بين النظامين مشكلة البحث « الأكاديمى » فى مصدر الإسلام . إذ يكون مصدر الإسلام ما يكون فهم محاربوه مادام سدا فى وجوههم لا ينفذون من ورانه إلى السيادة على بلاد المسلمين .

والغة الأشياء الموجودة هى اللغة التى يفهمها الشيوعيون ويجب أن يفهمها بين ظهرانينا نحن المسلمين تلك الشرذمة المتحذلة التى تقيس الدين بجميع المقاييس إلا مقياسه الصحيح الذى يصلح لتقديره .

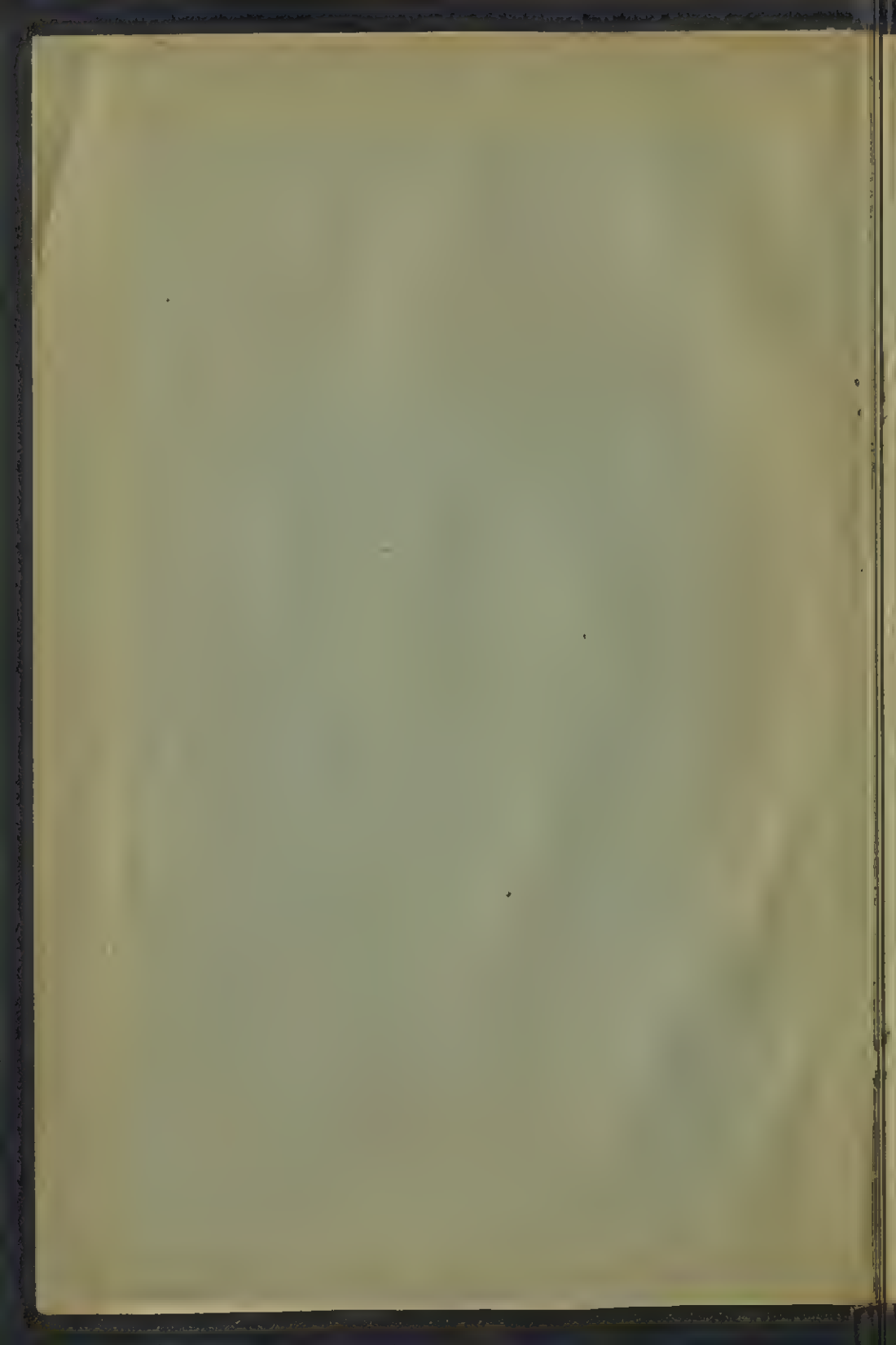
فمن عجز العقل أن يحسب أنه يفرغ من قضية الدين الكبرى كما يفرغ من شهادة شاهد فى قضية على حسب الواقع والرواية ، أو يفرغ من قضية الدين الكبرى كما يفرغ من حصة رياضية بميدان

الجمع والطرح ومعادلة الأرقام فانما يوضع حساب الدين في موضعه حين يوضع معه حساب المتدينين به في جميع أوطانهم وأزمانهم وجميع أحوالهم ومحاولاتهم ، والمتدينون به ملايين من الخلق يقيمون في أرجاء واسعة في الأرض ، ويخلف اللاحقون منهم سابقين على دين أو على غير دين ، ومنهم العارف والجاهل ، والحكيم والأحمق والطيب والخبيث والقوى والضعيف ، والمستول عن قوم والمستول عن نفسه لا يضطلع بتبعة غير تبعاتها ، وهم يعيشون مع دينهم منفردين ومجتمعين في أعماق أعماق من أعين الرقباء وسلطان ذوى السلطان ، ويرتفعون معه إلى شأولا يضيئه العلم إذا أحاطت به الظلمات .

وإذا نظرنا إلى الدين نظرنا إلى دواء يعالج به داء المجتمع فمن الخطأ أن نحسبه قارورة دواء تشرب ثم تلقى بعد فراغها ، فانما هو « نظام صحة » دائم يؤتى فوائده على مدى أعمار المتدينين ، وأعمار المتدينين ألوف السنين .

ولكل قائل كلمته في مدى الزمان الذي يتطلبه الدين الإصلاح
شئون الأمم إلا ... إلا الشيوعيين .

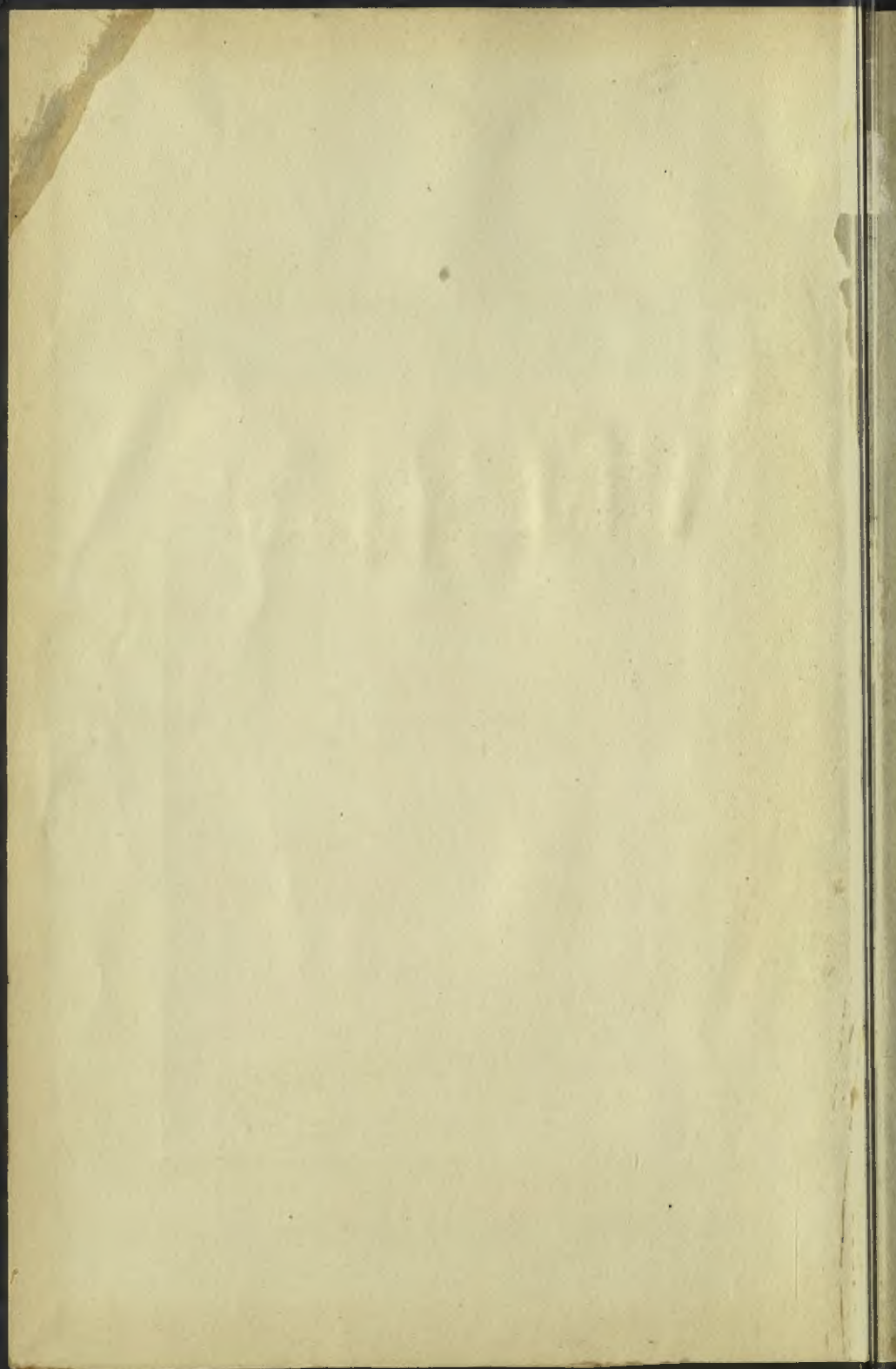
نعم إلا الشيوعيين فلا كلمة لهم في العمر الطبيعي المقدور للدين ، لأنهم يفسحون لمذهبهم العمر من القرن العشرين إلى ما شاءوا من القرون السبعين والثمانين والتسعين ، ولا سند لهم من إله أو نبى أو رسول .. إلا أن يكون كارل ماركس أولين أو ستالين ! .



دار الفتوح للطباعة

٧٣ شارع منصوري

تليفون ٣٢٨٥٩

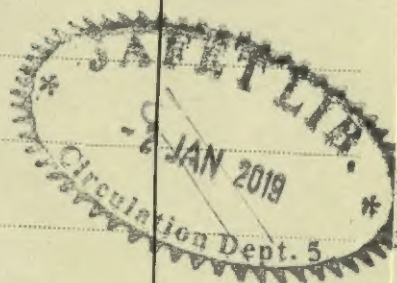


DATE DUE

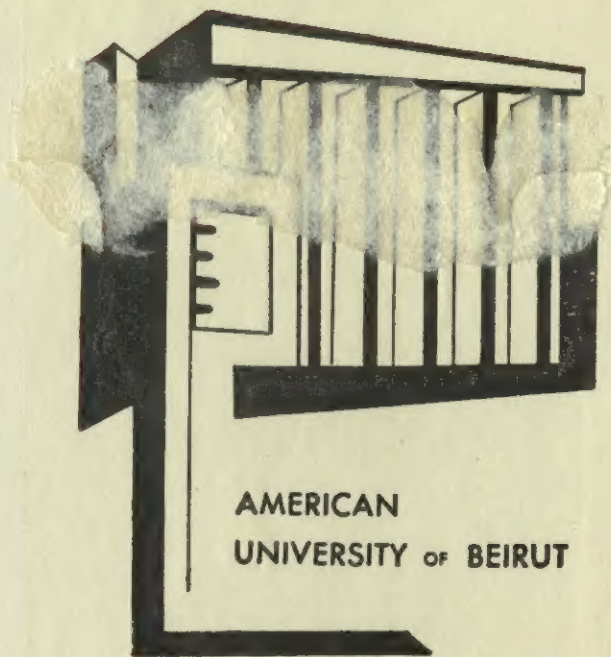
JAFET LIB.

13 DEC 1977

22 SEP 1986



العقاد، عباس محمود
الشيوعية والإسلام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01228184



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

335.4
A311sA